




# تاريخ غزة: نقد وتحليل

حلمي أبو شعبان









# تاريخ غزَّة

# نقد وتحليل

تأليف: حلمي أبو شعبان

صدرت الطَّبعة الأولى عام ١٩٤٣

عن مطبعة بيت المقدس - القدس

وزارة الثقافة الفلسطينية

سلسلة الموروث الثقافي

اسم المؤلف: حلمي أبو شعبان

اسم الكتاب: تاريخ غزّة - نقد وتحليل

الطبعة الأولى: ١٩٤٣ عن مطبعة بيت المقدس - القدس

---

الإشراف العام: عبد السَّلام عطاري

مراجعة وتدقيق: حنين خالد عِناية

صف وتنضيد: شادية الخطيب

تصميم الغلاف: فاطمة حسين



فلسطين

www.moc.pna.ps

# تاريخ غزَّة

# نقد وتحليل

# تقديم

## سيادة الرَّئيس محمود عبَّاس «أبو مازن»

لم تكن فلسطين ارضاً قاحلة، بل كانت ارضاً معطاءة وكان ابناؤها وبناتها مبدعين في الشعر والقصة والرواية والمسرح والموسيقى والسينما والعلوم الاجتماعية والفكر والفلسفة. ان هذه الكوكبة من الكتب التي نعيد اصدارها تقدم باقة من هذه الابداعات التي تكشف عن عظمة هذا الشعب وحبه للثقافة والمعرفة.

كانت فلسطين تزخر بالمطابع والمكتبات والصحف والمجلات والمسارح ودور السينما والمراكز الثقافية والمدارس والمعاهد وكانت منارة يهتدي بها الآخرون، ويفدون اليها طلباً للعلم والمشاركة في الحياة الثقافية التي كانت تزدهر بها. نعتز بموروثنا الثقافي الذي ابدعه اجدادنا، ونريد ان نحافظ عليه، ونريد للاجيال القادمة ان تقرأه وتعتز به وتبدع كما ابدع اسلافهم.

٣٠ / ٣ / ٢٠٢٠

# كلمة المؤلّف

•••

## غايتنا من النّقد

ألّـف الأسـتاذ عـارف العـارف قائمقـام غـزّة السّـابق كتابًـا أسـماه (تاريـخ غـزّة) بحـث فيـه شـؤون غـزّة التّاريخيّة قديمًـا وحديثًـا، وحالتهـا الاجتماعيّة والثّقافيّـة والأخلاقيّـة بحثًـا واسـعًا جديـرًا بالعنايـة. وبمـا أنَّ هـذا الكتـاب تاريخـيّ يتعلّـق بمدينـة وُلِـدتُ فيهـا وربيـت تحـت سـمائها؛ وللرّغبـة الملحّـة التـي أظهرهـا مواطنـي الأعـزّاء للمحافظـة عـلى تاريخهـم، بـادرت إلى تدويـن ملاحظـاتي عـن هـذا الكتـاب ونقـد بعـض مـا جـاء فيـه مـن المعلومـات التـي لم يُوَفَّـق المؤلّـف إلى الوصـول إلى حقيقتهـا، فنشرهـا كـما اتّصلـت بـه، وعـذره في ذلـك واضـح، فهـو لا يسـتطيع أن يلـمَّ بـكلّ شيء في تاريـخ غـزّة.

وأحسـب أنّ مجهـوده في ذلـك لا غبـار عليـه، لـولا سـقطات كنّـا نـودّ لـو تجنّبهـا في بحثـه أو دوّنهـا دون أن يرجّـح فيهـا رأيًـا، وعندمـا بـدأت بنقـد هـذا الكتـاب توخّيـت النّقـد الإيجـابيّ البنـائيّ وتحاشـيت جهـد المسـتطاع النّقـد السّـلبيّ الهـدّام رغـم مـا قـد يـتراءى للقـارئ مـن شـدّة في النّقـد مصدرهـا الصّراحـة التـي لا تشـوبها مداجـاة.

ولقـد كنـت وأنـا أعالـج مواضيـع الكتـاب، وأحلّـل عباراتـه ذا صلـة حميمـة بالحقيقـة، أسـتمدّ منهـا الأسـباب، وأعتمـد عليهـا في تقريـر الحـوادث ونفيهـا أو إثباتهـا متحاشـيًا كلّ مـا فيـه مـن التّجريـح والتّهديـم أو الإقـلال مـن قيمة

الكتاب، وإذا تراءى شيء من هذا لأحد؛ فإنَّني أستميحه العذر وأؤكد أنّ ذلك لم يكن مقصودًا، ولعلّه يكون ناشئًا عن عدم استعداد النّفس لتقبُّل الانتقاد، فقديمًا كانت كلمات الأنبياء والرّسل التي توخَّوْا بها إصلاح العالم سببًا في النّقمة عليهم، وداعيًا للغضب. والذين يضعون الحقيقة فوق أنفسهم، ويفسحون صدورهم للنَّقد الصَّادق لا يجدون فيما نكتب تحاملًا ولا تجريحًا، فالكاتب الذي لا يقبل النَّقد لنفسه ولا يحاسب ذاته فيما كتب، ليس جديرًا بأن يُدعى كاتبًا أو مؤرّخًا، والحياة كما قال سقراط «نقد النّفس وتحليلها باستمرار».

ولا أدَّعي بهذا أنَّني استوفيت البحث في الموضوع فلم أترك فيه شاردةً ولا واردة، وإنَّما ضمَّنتُ هذا الكتاب خلاصة ما أعرف ودفعته إلى مواطني عسى أن يجدوا فيه شيئًا من جدّة الرَّأي على ضوء الصَّراحة المطلقة التي لا تخالطها مجاملة ولا تشوبها مداهنة، وقد شاركني في تمحيص الحوادث وجلاء الحقائق التَّاريخيَّة صديقي الأستاذ الشّيخ عثمان أفندي الطبّاع مدير مكتبة الجامع الكبير العمري وصاحب كتاب «إتحاف الأعزَّة في تاريخ غزّة» ولست أنسى المساعدات القيّمة التي قُدِّمَت إليّ من أصدقائي العديدين بإبداء ملاحظاتهم وبالتَّفتيش عن المصادر والمراجع ذات القيمة التَّاريخيَّة، فإلى هؤلاء جميعًا وافرُ الشُّكر والتَّقدير.

ولا يفوتنـي أن أتقـدَّم بالشّـكر للأسـتاذ عـارف العـارف عـلى مـا بذلـه مـن جهـود في جمـع مـوادّ كتابـه المتراميـة هنـا وهنـاك وإخراجهـا بهـذا التَّرتيـب البديـع والتَّبويـب الرَّائـع، وأرجـو أن أكـون في نقـدي لمـا جـاء فيـه عونًـا عـلى الوصـول إلى الحقيقـة وإخـراج الطّبعـة الثَّانيـة، وهـي أقـرب للكـمال والإتقـان، واللـه الهـادي إلى سـواء السَّـبيل.

**حلمي أبو شعبان**

**١٥-١٠-١٩٤٣**

# كتابة التَّاريخ

•••

عندما يعتزم كاتب أو مؤرخ وضع تاريخ لعصر من العصور أو بلد من البلدان ذات القيمة التاريخية يجب ألا يقتصر بحثه على ما يسمعه من أفواه الناس أو ما يطالعه في الكتب، فأقوال الناس في أغلب الأحيان وليدة الأساطير والإشاعات، وما تطالعه في الكتب ليس كله مما يصح الاستناد عليه في تقرير الحقائق التاريخية التي يبنى عليها تاريخ شعب أو سيرة أمة. فكم من حادث يتناقله الناس عن شجاعة (عنتر) لمجرد عرفانهم أن عنتر كان شجاعًا في حين أن هذا الحادث لا يمت لعنتر بصلة، وكم من أقصوصة يرويها العامة عن (أبي زيد) وحيله ودهائه، وأبو زيد - علم الله - بريء منها، لم يدعيها قط، وإنما اشتهاره بين عرب بني هلال بالجرأة واقتحام المصاعب حملت الناس على أن ينسبوا إليه هذه الأحاديث الموضوعة والأقاصيص الخيالية الواسعة. بل أن الناس يحيطون شخصيتي (جحا) و(أبي نواس) بهالة من الفكاهات المستجدة والنوادر المخترعة حديثًا التي لم تكن لتقال في عصر جحا إن وجد - ولا في عصر أبي نواس. وهناك من الكتب الموضوعة ما لا يخرج مآلها عما تقدم ولهذا فلا يصح الاعتماد على ذلك في تأليف الكتب التاريخية.

قال نابليون يعرف التاريخ «إنه الفلسفة الحقيقية والصورة النفسية الصادقة». وقال أحد الفلاسفة: «التاريخ مرآة الشعوب»، ومن المؤسف أن يستند الأستاذ عارف العارف في أكثر ما كتبه عن تاريخ غزة على ما سمعه أو أتصل به عن طريق الرواة. وإني لمحدثك عن أحد الذين

يعتمد على رواياتهم ويأخذ باعتقاداتهم وآرائهم لتدرك مبلغ الحقيقة فيما نقل عنهم.

حدثني راوية منهم في يوم من الأيام، وعليه يعتمد المؤلف في تقرير حقائق تاريخية هامة قال: « عندما غرقت الباخرة الإنجليزية المشهورة «التيتانك» في المحيط الأطلسي قريبًا من شواطئ أمريكا، حاول أحد الركاب أن يخالف أوامر الربان لإنقاذ السيدات أولًا والوصول إلى قوارب النجاة قبلهم، فضرب بالرصاص وأصيب في يده، فأخذ يسبح بيد واحدة من المكان الذي غرقت فيه الباخرة في المحيط الأطلسي إلى أن وصل إلى جبل طارق، ولم يتوقف هناك بل أستمر يقطع البحر الأبيض المتوسط سباحة حتى وصل إلى الإسكندرية. وهناك أستقبله البحارة فوجدوا أن يده لا تزال تسيل منها الدماء فضمدوا جراحه وقص عليهم قصته.» اهـ

وهذه الحكاية لا تحتاج إلى تعليق، والرجل الذي يسمح لنفسه بنقلها وهو معتقد بصحتها لا قيمة مطلقًا لآرائه. فهذا الراوية وأمثاله الذين أخذ عنهم المؤلف معلومات تاريخية ليسوا رجال تاريخ ممن يعتمد على رواياتهم وإنما هم محدثون افتتنوا في خلق الأحاديث وابتداع العجيب منها متأثرين بأقاصيص ألف ليلة وليلة وغيرها من أساطير الأولين، والمؤلف الذي يبذل التعب والوقت والمال لتدوين معلومات لا يقطع بصحتها كتلك التي أدرجها المؤلف في كتابه (تاريخ غزة) مثله مثل الرجل الذي يبني بناءه في الهواء فلا يلبث أن تعصف به الزوابع وتذروه الرياح.

## لغة الكتاب

•••

لا نريد أن نتناول بالنقد لغة المؤلف لأن ذلك وحده يحتاج إلى كتاب. فالأديب حين يتصفح تاريخ غزة وغيره من الكتب التي وضعها المؤلف لا يرى فيها من اللغة ما يتناسب مع فن الكتابة الذي هو الدعامة الأساسية في التأليف. فلغة الكتاب أقرب إلى اللغة الدارجة في التخاطب منها إلى لغة التأليف فهي ليست سهلة ممجوجة فحسب وإنما هي متناسقة فيها تنافر في العبارات وتنميق مصطنع لا يفي بالغرض الذي رمى إليه المؤلف. وحسبك دليلًا ما يستفتح به كتابه حين يقول: «أنا امرؤ طوحت به يد الأقدار في هذه الديار ...» وهي عبارة رصها المؤلف رصًا دون أن يتقصد معناها أو يتعمد مغزاها. ولرب سائل يقول: كيف طوحت هذه الأقدار القاسية بالمؤلف وقد جاء إلى هذا البلد قائمقاما راضيًا مختارًا. وأقام بها معززًا مكرمًا يتنقل في نواحيه بسيارة فخمة، تحف به الحجاب، وتحيط به الجباة والكتاب؟!! كيف طوحت به الأقدار وهو لم يغشه أسيرًا ولا سجينًا، ولم يدخله غريبًا ولا رهينًا!! أغلب الظن أنه رجع إلى القدماء فاقتبس من أقوالهم هذه العبارة ذات السجعة الخلابة، التي جاءت على غير ما يشتهي، وأحسبه كان يريد القول «أنا امرؤ اسعدته الأقدار بالإقامة في هذه الديار» أو ما شاكل ذلك، ولكنه لم يملك ناصية الكلام، ولم يتحكم باللفظ، وإنما تحكمت به العبارة فأفلت منه المعنى.

وإن المؤلـف ليميـل في أكـثر حالاتـه إلى تـداول الصيـغ القديمـة في غـير مواضعهـا فتبـدو غـير ملائمـة للمعنـى المقصـود. ولـو كان اصطناعـه للألفـاظ السـهلة إن كان ثمـة اصطنـاع، بصـورة لا تلطـف عـلى الدهـماء ولا تجفـو عـن الأكفـاء كـما يقـول بـشر بـن المعتمـر، لحمدنـا لـه ذلـك. ولكـن يلـوح لنـا أن معرفـة المؤلـف في أدب اللغـة وفـن الكتابـة لم تكـن لتسـاعده عـلى اجتنـاب هـذا القصـور اللغـوي الـذي يـراه الأديـب وهـو يطالـع الكتـاب كـما يـرى الفقاقيـع في الزبـد وهـي تذهـب جفـاء. فلغتـه لا تصلـح للإنشـاء الرصـين عنـد الكتابـة في موضـوع للجـد فيـه مقـام مرمـوق. ولا تتفـق مـع الإنشـاء الدقيـق حـين يتنـاول البحـث في موضـوع تاريخـي أو فلسـفي أو علمـي.

وهـو وإنـك لـترى المؤلـف يناقـض نفسـه في كثـير مـن المواضـع فيسـتعصي عليـه المعنـى، ويلتبـس عليـه المنطـق، تقـوده الألفـاظ وهـو منقـاد لهـا ليـس لـه قـدرة عـلى أحكامهـا كـما يتطلـب الموضـوع أو تقتضيـه الحـال. فكيـف إذن وهـو كـما تـرى لا يملـك عنـان الـكلام، يسـتطيع أن يثبـت أمـرًا أو يقـرر رأيًـا؟! ولسـنا نتطلـب بهـذا العنايـة بالزخـارف اللفظيـة والعبـارات الخلابـة والاسـتعارات الرنانـة، ففـن الكتابـة لا يتطلـب ذلـك بقـدر مـا يتطلـب الأسـلوب السـهل الـذي تستسـيغه الأنفـس ويمتنـع عـلى أكـثر النـاس مـع الحـرص عـلى دقـة العبـارة ومراعـاة المنطـق وأصـول اللغـة، وجديـر بالكاتـب أن ينتقـي عنـد الكتابـة، الكلـمات المتناسـبة التـي يأخـذ بعضهـا برقـاب بعـض ولا يلعـن بعضهـا بعضًـا، فليـس كل مـن كتـب يعـد كاتبًـا، ولا كل مـن دخـل عـلى الأدب يعتـبر أديبًـا.

# شخصيّة المؤلّف

## تأثير الميول في التاريخ - مؤلفاته - سمعهم يقولون

•••

لشخصية المؤلف وميوله التأثير كل التأثير فيما يكتب وللظروف التي تحيط به اعتبار خاص يجب ألا يغيب عن الأذهان. وأرى من الواجب البحث في شخصية المؤلف وتحليلها تحليلًا دقيقًا قبل البدء بنقد كتابه فعلى ضوء هذا التحليل يجد القارئ سهولة في تفهم المعاني واستقصاء المعلومات الصحيحة عن تاريخ غزه وهو إذا لاحظ ميول المؤلف - يدرك مقصوده مما كتب.

## ١ - تأثير الميول في التاريخ

عارف العارف شخصية بارزة، لها ماض مجيد، اشتغل في حقل الوطنية مدة من الزمن، لاقى في أثنائها ما يلاقيه رجال الوطن من مشقات فآثر أن يعتزل السياسة وعين قائمقامًا ... ولعل غرامه بالشهرة هو الذي دفعه في بادئ الأمر على المغامرة في ميدان الجهاد القومي فلما لم تساعده الظروف لجأ إلى التأليف والنشر. يحب أن يمتدح ويغره الثناء رغم أن من صفاته الحنكة والدهاء.

هو بحاثة مجتهد - ما في ذلك ريب - ولكنه يعتمد على أقوال العامة وما يسمعه من الناس ولميوله تأثير كبير على تفكيره يستحل في سبيل ارضائها ما يعتقد أنه مخالف للعقل، متحمس لنصرة أقربائه واصهاره، ينقلهم معه من بلد إلى بلد ومن دائرة إلى دائرة، بل ذهب إلى أكثر

مـن ذلـك فـأراد تخليدهـم في تاريـخ غـزه فنسـب إليهـم أشـياء تـرضي ميولـه ولا تـرضي التاريـخ.

قـال في صفحة ٢٥٦ ما يلي:

«ولـكي تتمكـن مـن صـد الرمـال التـي كانـت تزحـف في كل سـنة مـن جهـة البحـر انشـأت غابتـين جميلتـين: الأولى عـلى بعـد ميلـين مـن شـمال المدينـة إلى الغـرب، والثانيـة عـلى بعـد ميـل واحـد مـن جنوبهـا إلى الغـرب، وكلتاهـما تمتـدان حتـى البحـر. والفضـل في نجـاح هاتـين الغابتـين يرجـع إلى أحـد أبنـاء غـزة المثقفـين سـعد اللـه بـك البورنـو. فقـد احتضـن هـذا المـشروع بكلتـا يديـه، وأولاه معظـم أوقاتـه وجهـوده وأخـذ يغـرس في تلـك الرمـال مـن الأعشـاب والأشـجار مـا حـال دون سـيرها فـزال عـن غـزه خطـر طالمـا تهددهـا مـن قبـل. وأصبحـت تلـك الرمـال الجـرداء جنـة غنـاء».

وهـذا الإطنـاب في وصـف الغابتـين والتهويـل بوقـوع خطـر داهـم فيـه مغـالاة لا يقبلهـا العقـل إذ ليـس هنـاك خطـر داهـم كـما يتبـادر لذهـن القـارئ مـن زحـف الرمـال عـلى المدينـة، فالرمـال - موجـودة منـذ آلاف السـنين وغـزه مـا زالـت كـما هـي لم تقـدم فيهـا الرمـال ولم تؤخـر. ولكـن المؤلـف وهـو يعلـم ذلـك حـق العلـم قصـد بمغالاتـه في وصـف الخطـر إسـناد فضـل كبـير لسـعد اللـه بـك البورنـو وهـو صهـره شـقيق زوجتـه وكانـت وظيفتـه ضابـط أحـراش في غـزة. وقـد كان في الحقيقـة رجـلًا دمـث الأخـلاق محبوبًـا مـن الغزيـين ولكـن لا يجـوز أن نسـند إليـه فضـل إنجـاح هاتـين الغابتـين وقـد تعاقـب عليهـما موظفـون كثـيرون سـاهموا في هـذا الفضـل إن كان للموظـف فضـل في تأديـة واجبـه والقيـام بوظيفتـه.

وأغـرب مـن هـذا مـا أورده المؤلـف في صفحـة ١٠٧ يعـرف حـمام السـمرة الأثـري المشـهور وهـو أشـهر مـن أن يعـرف قـال: «وحـمام السـمرة الواقـع في وسـط المدينـة وفي الزقـاق المـؤدي لـدار خليـل أفنـدي البورنـو».

وقـال في صفحـة ٣٥٢ يعـين مـكان الجامـع الجـاولي: «كان واقعًـا في البقعـة الواقعـة تجـاه حاكـورة الحـاج حسـن البورنـو».

وقـال في صفحـة ١٨٤: «وبعـد حسـن درويـش باشـا أصبحـت غـزة متسـلمية وكان متسـلمها عيـسى آغـا المشـعلجي. إن هــذا الحاكـم المتنفـذ يمـت بالنسـب لآل البورنـو الموجوديـن بغـزة في الوقـت الحـاضر».

***

فكـثر ذكـره لأصهـاره مـن عائلـة البورنـو تدلـك عـلى مبلـغ سـيطرة ميولـه عـلى كتاباتـه حتـى أنـه تطـرق إلى تعريـف الأماكـن التاريخيـة المشـهورة بمواقـع غـير معروفـة إلا لمـن لهـم علاقـة بهـا مثلـه في ذلـك مثـل مـن يعـرف المسـجد الأقـصى بإحـدى الـدور المجـاورة لـه.

ولسـنا نعنـي في هـذا المقـام بصحـة نسـب عيـسى آغـا المشـعلجي لأصدقائنـا آل البورنـو الكـرام وإنمـا نلاحـظ عـلى المؤلـف اعتقـاده الخاطئ أن الانتسـاب لحاكـم متنفـذ شرف رفيـع!!! مـع أن الوظيفـة لا تـورث صاحبهـا شرفًـا ولا ترفـع مـن الأصـل والنجـار وكـم مـن حاكـم متنفـذ كان في عصـور التاريـخ مـن العبيـد الارقـاء مثـل كافـور حاكـم مـصر وغـيره. ولكنـه كـما يشـتم مـن أسـلوبه يريـد ذكرهـم كيفـما أتفـق وعـلى أيـة صـورة كانـت حتـى أنـه جريًـا وراء هـذه الميـول والأهـواء كان يقلـل مـن أهميـة العائـلات الأخـرى أمـام الحاكـم الإداري ويسـتغل مركـزه لإظهـار أكـثر العائـلات البـارزة في

غـزه بمظهـر لا يتناسـب مـع مكانتهـا الأمـر الـذي أوجـد تباعـدًا بـين هـذه العائـلات وبـين الإدارة في حـين أن واجبـه يحتـم عليـه تقويـة العلاقـات بينهـا وبـين السـلطة. وقـد كان لهـذا العمـل صـدى بعيـد في نفـوس الغزيـين.

## ٢- مؤلفاته

يغلـب عليـه حـب المـادة، فهـو يميـل إلى الاكتسـاب مـن مؤلفاتـه الأمـر الـذي يناقـض طموحـه وحبـه للاشـتهار. ولعـل هـذا سـبب تمسـكه بالوظيفـة ورضـاؤه بقيودهـا، هـذا التمسـك الـذي قـد حـد مـن صراحتـه وأضعـف مـن عزيمتـه في كثـير مـن المواضـع التـي تحتـاج إلى الصراحـة والجـرأة، فـتراه يحـاول أن يسـير عـلى نهـج (قاسـم أمـين) في مطالبتـه بتحريـر المـرأة، ولكـن في غـير جـرأة قاسـم أمـين وفي غـير اندفاعـه وعزيمتـه لتحريرهـا ورفـع مسـتواها. فهـو في كتاباتـه أسـير الحـيرة والـتردد فـما أسرع مـا يقـع في سلسـلة مـن المتناقضـات يلحظهـا القـارئ واضحـة في مؤلفاتـه.

وفي اعتقـادي أن لجـؤه إلى الأسـلوب الخيـالي في (رؤيـاي) كان وليـد الضعـف والخـوف مـن نقمـة الجمهـور، فهـو لم يقلـد الكتـاب الخياليـين أمثـال (جوناثـان سـويفت) في رحلاتـه إلى بـلاد العمالقـة والأقـزام ولا (دانتـي) في رحلتـه خـلال الجحيـم فـالأول وجـه انتقاداتـه صريحـة وبجـرأة منقطعـة النظـير رغـم فقـره وفقـر والدتـه. ودعـك عـن دانتـي، والآلام التـي صورهـا تصويـرًا صادقًـا في رحلتـه. ولكـن المؤلـف لم يكـن جريئًـا حتـى في رؤيـاه. يريـد أن ينصـف المـرأة وأن يسـاويها بالرجـل في كل شيء حتـى في المـيراث فكتـب في صفحـة ٥٣ مـن (رؤيـاي): «أنـه لا فـرق في يومنـا هـذا بـين الذكـر

والأنثى من حيث الوراثة. أن المبدأ القائل إن للذكر مثل حظ الأنثيين أصبح في خبر كان».

وبعد أن كتب ذلك أثر هذا في نفوس الناس وتصور نقمتهم وثورتهم فاجفل أيما أجفال وتراجع عن رأيه فقال في الهامش يفسر ذلك «هذا على التقسيم النظامي وأما على الشرعي فمعمول به».. وهذا التعبير الغريب ليس إلا خطة مرسومة أنسحب بموجبها إلى قواعده سالمًا!! فالمبدأ الذي ذكره شرعي وهو من قوله تعالى «يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين .. الخ.» ولا وجود للمبدأ النظامي في الإرث وإنما هناك تقسيم نظامي يتعلق بتوزيع حصص الانتقاع بالأراضي الأميرية وهي التي رقبتها عائدة لبيت المال كالمزارع والأحراش والمروج.

وهو يكشف عن مخاوفه وهواجسه حين يقول في صفحة ٣٤ من (رؤياي): «قام أحد علماء الاجتماع في ذلك العصر - يعني عصرنا هذا - وأبان للناس حقوق المرأة المهضومة ثم أشار إلى مضار الحجاب فقاموا لقوله هذا وقعدوا وحنقوا على قائله وسخطوا ولم ينج ذلك المسكين من شرهم إلا عند ما ولى وجهه شطر الغرب وامتطى غارب الرحيل والفرار. ثم قام رجل آخر من رجالهم ومنح النساء حق الاشتراك في انتخابات المخترة فخنقوا عليه وسلقوه بالسنة حداد».

فإذا كان المؤلف يحسب حسابًا لحنق الشعب والسنته الحداد، لماذا يحشر نفسه بين المصلحين الذين لاقوا ما لاقوه في رحيب الدهور من أجل نشر مبادئهم وآرائهم. فما أعظم الفرق بين رجل يعمل في هدوء

لنصرة المرأة وتحريرها وبين رجل يتخذ قضيتها جسرًا يمر عليه للشهرة والظهور. فقد ملأ الدنيا بإشراك النساء في انتخاب (المخترة) في قرية برير وهو أمر لا يستحق شيئًا من الاهتمام لا لأن برير قرية صغيرة لا أهمية لها بل لأن النساء الفلاحات كن يشتركن بصورة غير مباشرة في انتخاب مختار القرية وكان لهن التأثير كله في اختياره وهن الأيدي العاملة في القرية.

فدعوته لبضع نساء منهن للتصويت لا يجوز اعتباره فتحًا جديدًا تدق له الطبول وتملأ بحديثه الصحف. في حين إنه كان يلجأ في أكثر الحالات إلى أختيار المخاتير عن طريق التعيين فما فائدة منح المرأة حق التصويت في انتخاب (المخترة) في قرية ابرير بينما يلغي في غيرها حق الانتخاب وينتزعه من الرجل والمرأة على السواء.

***

وصفوة القول إن البون شاسع بين ما سعى إليه قاسم أمين وبين ما يقلده فيه المؤلف فنزعة الأول للإصلاح الاجتماعي الهادئ وتحرير المرأة من نظام البيئة كان لها أثر بعيد في تحرير المرأة وانهاضها من كبوتها. وآية ذلك هذا الجيل الجديد المتحصن بالثقافة العالية والأخلاق المتينة. أما الثاني فلا نعرف من آرائه سوى ما تقدم منها وما جاء في صفحة ٥١ من (رؤياي) عن رأيه في الزواج حيث يقول: «أما الزواج فميزانه الحب ولا ميزان له سوى الحب».... وهو شيء واضح يفهمه حتى الأطفال مما يشاهدونه من الروايات والأفلام في المسارح ودور السينما.

## ٣- سمعهم يقولون

لـو وجـد المؤلـف حـين ألـف كتابـه عـن تاريـخ بـئر السـبع أصدقـاء صريحـين يجابهونـه بالحقيقـة وينقـدون كتابـه، ويحاسـبونه عـلى غلطاتـه لقدمـوا لـه خدمـة جليلـة. ولكنـه بحكـم وظيفتـه محـاط بفئـات مـن النـاس لا شـأن لهـم إلا الاسترسـال في استحسـان أعمالـه وامتـداح أرائـه، فـإذا مـا خلـوا إلى أنفسـهم كانـوا أشـد الحاملـين عليـه الناقديـن لآرائـه. ومـن الغريـب أنـه رغـم سـعة اطلاعـه وتزايـد خبرتـه يتأثـر بهـذه الألفـاظ والمظاهـر ... بـل أنـه يتخـذ أقوالهـم حجـة ويجادلـك بهـا فيقـول لـك أن فلانًـا طلـب نسـخة مـن تاريـخ غـزة ... وفلانًـا قـال عنـه كـذا وكـذا ... وفلانًـا كتـب عنـه كيـت وكيـت .. كأن هـؤلاء الذيـن سـمعهم يقولـون في يدهـم ميـزان التاريـخ، وفي أفواههـم مقـدرات الشـعوب والأمـم. ولـو تجـرد مـن وظيفتـه لمـا سـمع شـيئًا مـما يقولـون ...!!! وهـل يجـوز الحكـم عـلى قطعـة موسـيقية مثـلًا بأنهـا ممتـازة إذا صفـق لهـا النظـارة طويـلًا حتـى ولـو كانـوا كلهـم طرشًـا..؟؟

أعـود فأقـول إن المؤلـف لـو رأى مـن يصارحـه الـرأي في مؤلفاتـه التـي وضعهـا عـن بـئر السـبع لعـرف كيـف يضـع تاريـخ غـزة ولتحـاشى مـا فيـه مـن أغـلاط، ولـكان بحثـه أتـم وغرضـه أوفى.. ويسـائل النـاس أنفسـهم مـا شـأن المؤلـف وبـئر السـبع، ومـا شـأنه وتاريـخ غـزة، ومـاذا يعنيـه مـن أمـر الأسر الغزيـة والأنسـاب الغزيـة التـي يعتـزم طبـع كتـاب جديـد عنهـا، أفـما كان الأجـدر بـه أن يسـتريح ويـترك غـزة وأهلهـا وبـئر السـبع وقبائلهـا، والجـواب عـلى ذلـك مـتروك لـه في الدرجـة الأولى، ولكـن شـيئًا واحـدًا

نذكـره بالنيابـة عنـه وهـو إن ميـلًا في نفسـه للبحـث والتنقيـب وتدويـن التاريـخ حـدا بـه إلى ذلـك. وهـذا الميـل لا بـأس بـه ومـن الواجـب تنميتـه. عـلى أن التاريـخ ليـس محصـورًا في تصويـر البيوتـات والتحـدث عـن كل مـا هـب ودب ولا هـو مقصـورًا عـلى البحـث عـن فـلان مـن أيـن أتى وإلى أي جـد ينتمـي ومـن أي شـجرة تفـرع فيخلـق لهـذا مجـدًا وفخـارًا، ويسـلب ذاك محتـدًا ونجـارًا. وعجيـب أن يلجـأ إلى ذلـك وهـو مـن المعتقديـن بعـدم فائدتـه للمجتمـع فذكـر ذلـك صريحًـا في كتابـه (رؤيـاي).

والنـاس أبنـاء رجـل واحـد ... أبوهـم آدم وأمهـم حـواء... ونحـن في عـصر تسـيطر فيـه - الديمقراطيـة الصحيحـة، لا فضـل لعـربي عـلى عجمـي إلا بالتقـوى. وقـال صلى اللـه عليـه وسـلم: «أنـا جـد كل تقـي ولـو كان عبـدًا حبشـيًا»، فـإذا كان وضـع التاريـخ يقصـد منـه طبـع الكتـب وعرضهـا في المكاتـب فهـذا ليـس مـما يـورث صاحبـه فخـرًا أو يبنـي لـه ذكـرًا، فـإن للباحثـين مجـالًا واسـعًا للكتابـة في غـير هـذه النواحـي وفي غـير هـذه المواضيـع.

# غزَّة في الماضي والحاضر

## غـزة الوثنية - لقـب جنرال - إحصاءات الدوائر - حكام المدينة - القائمقامون - الرسـوم والصور الكنيس اليهودي المزعوم - الشـمعدان ذو السبع شعب.

•••

## غزَّة الوثنيَّة

قـال لي صديـق مثقـف يعلـق عـلى كتـاب (تاريـخ غـزة)، إن هـذا ليـس تاريخًـا.... إنـه تقريـر - (Report)

قلت - لماذا؟

قـال - جـل مـا فيـه أقـوال ومسـموعات ... والتاريـخ لا يكتـب عـلى هـذه الصـورة.

وإليـك أيهـا القـارئ مـا يقولـه المؤلـف في صفحـة ٨١: «إن الوثنيـة وإن كانـت قد زالـت مـن غـزة بالمرة، وعبـادة الأصنـام وإن كانـت قـد اختفـت ... إلا أن بعـض العـادات الشـائعة بينهـم تـدل عـلى أنهـا مـن بقايـا عهـد الوثنيـة».

فليتمعـن القارئ جيدًا في هذا القول...

فهـو يقـول الوثنيـة زالـت بالمـرة ولكـن هنـاك عـادات مـن بقايـا عهـد الوثنيـة..!! أمـا كيـف يتفـق زوالهـا بالمـرة مـع وجـود بقاياهـا فمنطـق رائـع!؟ ولغـة في التعبـير لم نعهدهـا مـن قبـل؟! وتعالـوا نفتـش عـن هـذه

الوثنيـة في غـزة.. أيـن هـي؟!! ومـا هـي تلـك العـادات التـي يشـير إليهـا ...؟!! ومـا هـي الأدلـة التـي قدمهـا عـلى ذلـك...!؟ قـال: «وليـس أدل عـلى ذلـك مـن القسـم الـذي اعتـادوه - كـذا - والأيْمـان التـي ألفوهـا كلـما أرادوا أن يؤكـدوا أنهـم صادقـون في أقوالهـم: كقولهـم مثـلًا:

(وحيـاة عـين هالشـمس الحـرة) - إشـارة إلى معبـد الشـمس في زمـن الوثنيـين.

(وحيـاة هالمسـبعة الـلي كلمـت ربهـا) - إشـارة إلى النـار وذلـك في الأصـل دلالـة عـلى السـبعة كواكـب التـي كانـت تعبـد مـن قبـل الساميين الأصليـين.

(وحياة هالكواكب) - إشـارة إلى (المشـتري) الذي كانوا يعبدونه إلخ».

ويتبـادر لذهـن القـارئ مـما تقـدم أن القسـم بهـذه الأشـياء عـادة شـائعة عنـد أهـل غـزة، وإن هـذا القسـم مألـوف بينهـم، كلـما أرادوا أن يؤكـدوا صدقهـم في أقوالهـم... فكأنهـم نسـوا اللـه ولجـأوا إلى هـذه الإيمـان الباطلـة التـي مـا أنـزل اللـه بهـا مـن سـلطان.! وإذا أنـت تحريـت الحقيقـة وجـدت المؤلـف يتخبـط فيـما يكتـب خبـط عشـواء... بينـه وبـين الحقيقـة مـا بـين الأرض والسـماء، فأهـل غـزة لا يعرفـون هـذا القسـم وإن كان المؤلـف قـد سـمع ذلـك مـن بضعـة أشـخاص مـن عامـة الشـعب فكيـف يجـوز لـه أن ينسـبها للغزيـين جميعًـا ويجريهـا مجـرى العـادة بينهـم، فيجعـل مـن الحبـة قبـة، ويبنـي مـن الخيـال قصـورًا في الهـواء...!؟

ومـع ذلـك، لـو سـلمنا جـدلًا أن عـدة أشـخاص مـن الغوغـاء يتلفظـون بذلـك، فـأي صلـة بـين هـذا القسـم وبـين الوثنيـة، وكيـف اسـتباح لنفسـه نسـبتها لآلهـة الوثنيـين؟! ومـا هـي المراجـع التـي أسـتند عليهـا في تقريـر

ذلـك، وهـي لا تمـت للوثنيـة بصلـة، ولا علاقـة لهـا بهـا مطلقًـا. ومـع اعتقادنـا أن هـذا لا يحتـاج إلى تفسـير إلا أننـا نـرى أن تفسـيرها خـير مـن عدمـه كي تـزول هـذه الخواطـر الغريبـة مـن ذهـن المؤلـف ولـكي يطلـع القـارئ عـلى الباعـث الحقيقـي لمـا ذكـر.

فقـول بعضهـم (وحيـاة عـين هالشـمس الحـرة) ناشـئ بحكـم الجـدال والعتـاب بـين العامـة لاعتقادهـم أن الصـادق مـن يفتـح عينـه في خصمـه فتكـون حـرة لا تعيـب ولا تكـذب، وأمـا مـن يفـتري عـلى النـاس فلا يسـتطيع أن يفتـح عينـه في خصمـه، وعـين الشـمس حـرة لأن أحـدًا لا يقـدر أن يفتـح عينيـه فيهـا. ومـن أقوالهـم في ذلـك «فـلان لا يقـدر أن يفتـح عينيـه في» أي أنـه مخطـئ. ولا علاقـة لذلـك بمعبـد الشـمس البتـة.

وقولهـم (وحيـاة هالمسـبعة الـلي كلمهـا ربهـا) وهـو الأصـح، يشـيرون بهـا إلى النـار، وأصـل ذلـك معـروف. فالمسـلمون يعتقـدون أن اللـه كلـم النـار بقولـه تعـالى: «يـا نـار كـوني بـردًا وسـلامًا عـلى إبراهيـم». وإذا حـدث أنهـم حلفـوا بذلـك فيكـون غالبًـا في مجالسـهم حـول النـار بقصـد المسـامرة وشرب القهـوة.

ومعنـى المسـبعة المطهّـرة، ومـن عـادة بعضهـم أن (يسـبعوا) الوعـاء؛ أي يطهّـروه ويغسـلوه برمـاد النّـار والمـاء سـبع مـرّات، مـرات وفي الحديـث الشريـف «إذا ولـغ الكلـب في آنـاء أحدكـم فاغسـلوه سـبعًا إحداهـن بالـتراب»، فـأي صلـة بـين النـار وبـين السـبعة كواكـب التـي أوردهـا المؤلـف...!؟ وكيـف تكلـم ربهـا إذا كانـت هـي الإلـه المعبـود...!؟ وأمـا قولـه (وحيـاة هالكواكـب) فأهـل غـزة لا يعرفـون عنـه شـيئًا ولعـل المؤلـف سـمع

ذلـك في غـير غـزة فقـدم ذلـك دليـلًا عـلى وثنيـة غـزة لتكـون هـذه ثالثـة الأثـافي.

***

## لقب جنرال

ولعـدم خـبرة المؤلـف في تاريـخ الألقـاب، ونقلـه المعلومـات عـلى علاتهـا دون أن يدقـق فيهـا ويتأكـد مـن صحتهـا، قـال في صفحـة ١٠٨ «لقـد مـر بـك في الفصـل الـذي خصصنـاه لغـزة في عهـد اليونـان أن القائـد المقـدوني الجـنرال سـيلوقس ... إلـخ»

ولقـب (جـنرال) هـذا منحـه المؤلـف للقائـد (سـيلوقس) لبلائـه في معركـة غـزة سـنة ٣١٢ قبـل الميـلاد! دون أن يـدرك بالبديهـة أن هـذا اللقـب حديـث العهـد وأنـه لم يسـتعمل إلا بعـد القـرن السـادس عـشر للميـلاد وقـد وقـع في هـذا الخطـأ حـين نقـل ذلـك عـن اللغـة الإنكليزيـة:

Alexander›s general Seleucus. وكلمـة (general) هنـا معناهـا القائـد العسـكري ولم يكـن لقـب (جـنرال) مسـتعملًا حتـى ينعـت بـه (سـيلوقس). وحـين يـرى القـارئ لقـب (جـنرال) يتبـادر إلى ذهنـه أن هـذا القائـد مـن قـواد العصـور الحديثـة لـولا مـا يتلـوه مـن كلام عـن معركـة وقعـت قبـل المسـيح بمئـات السـنين. وقـد أوردنـا هـذا مثـلًا عـن الأغـلاط التـي كثـيرًا مـا يقـع فيهـا المؤلـف بسـبب عـدم صحـة النقـل.

## غزة في يومنا هذا

## إحصاءات الدوائر - حكام المدينة - القائمقامون - الرسوم والصور الكنيس اليهودي المزعوم - الشمعدان ذو السبع شعب.

•••

قبل أن تتناول بالنقد ما جاء في باب (غزة في يومنا هذا) نود أن نلفت نظر القارئ إلى عدة نقاط هامة يجدر بنا بيانها قبل الاسترسال في البحث. فالمؤلف قسم كتابه إلى قسمين: القسم الأول تاريخ غزة في الماضي وفي مختلف عصور التاريخ والقسم الثاني تاريخ غزة في يومنا هذا. وضمن كتابه معلومات

تتعلق بأمور ثلاثة:

أولًا: إحصاءات الدوائر.

ثانيًا: أسماء الأشخاص.

ثالثًا: الرسوم والصور.

### ١ - إحصاءات الدوائر

إن البيانات التي أوردها المؤلف نقلًا عن الدوائر المختصة عن نفوس غزة والأمراض الكثيرة الوقوع فيها وعن عدد المعلمين والمعلمات والطلاب والطالبات وغير ذلك من البيانات أمر لازم لا اعتراض عليه لو لم يكن مقتصرًا على دوائر خاصة وأماكن محدودة... فقد أورد منها شيئًا وغابت عنه أشياء... فالذي يحصي عدد المعلمين في غزة يجب عليه إحصاء جميع المعلمين لا الاقتصار على معلمي عدة مدارس فقط

وإهمال ما بقي منها. فبينما نرى المؤلف ينشر في كتابه أسماء معلمي مدرسة المعارف واحدًا واحدًا ويحصي عددهم من سنة ١٩٢٧ لغاية سنة ١٩٤٣ نراه ينوه تنويهًا بسيطًا بمدرسة الفلاح الوطنية الإسلامية ولا يذكر أحدًا من أساتذتها ولا يحصي تلامذتها في السنين التي أحصى فيها طلبة المعارف مع أن هذه المدرسة التي أسسها المجلس الإسلامي الأعلى لها صبغة وطنية إسلامية كان يجدر به عدم التعمد في إغفالها والتصغير من شأنها. وكذلك قل عن مدرسة البلدية للإناث التي أنشأها المجلس البلدي وسد بها فراغًا كبيرًا وعن غيرها من المدارس الأهلية التي أشار إليها المؤلف فهذه أيضًا مر عليها من الكرام وهي أجدر بالذكر وأولى بالعناية لتكون حافزًا لإنشاء المدارس في المستقبل. فعنايته بقسم من المدارس وتجاهله القسم الآخر فيه انتقاص من قيمة هذه المؤسسات وغمط لحقوق الأفراد والهيئات التي قامت بإنشائها.

## ٢ - أسماء الأشخاص

ملأ المؤلف كتابه بالأسماء التي قل أن يكون بينها من له أهمية تاريخية، وأغفل أسماء كثيرة كان لزامًا عليه أن يذكرها ويشرح تاريخها لما لها من العلاقة بتاريخ غزة. والذين يذكرون في التاريخ هم رجال السياسة والأدب ومن ضربوا بسهم وافر في العلم والمعرفة. فإن أنت تصفحت كتاب (تاريخ غزة) ألفيته خاليًا من سيرة رجالات غزة الذين كان لهم نفوذ واسع ومجهود عظيم في الميدان السياسي والاجتماعي ومن ذكر الأدباء والشعراء الذين كانت لهم قصائد ما نزال خالدة على الدهر.

## حكام المدينة

وعند بحثه عن غزة من ناحية الحكومة قال «وحاكم لواء غزة هو المستر إدوارد بلارد وأما قائمقام القضاء فإنه مؤلف هذا الكتاب، وزميله إسحق أفندي النشاشيبي. الأول للشئون الإدارية والثاني للمالية..»,

وعجيب أن يذكر اسم المستر بلارد وحده دون بقية الحكام الذين تعاقبوا على غزة بعد الاحتلال الإنجليزي ومنهم المستر أبرامسون، والمستر بيلي، والمستر كروسبي، وغيرهم. أليست علاقته بالمستر بلارد كرئيس له هي التي دفعته لذكره وإغفال غيره، وهل يجوز للعاطفة أن تتحكم في مجرى التاريخ ...؟!

## القائمقامون

وتقلب في غزة قائمقامون كثيرون لم يذكر منهم المؤلف سوى نفسه وإسحق أفندي النشاشيبي. أما الباقون فلا ذكر لهم في التاريخ. وأهل غزة يعرفون كثيرين من هؤلاء الذين أغفلهم المؤلف فمنهم: وديع فرنسيس، وديع العيساوي، عزمي النشاشيبي، جمال طوقان، إحسان هاشم، عبد الرزاق قليبو، وكان جديرًا بالمؤلف ذكرهم حسب تواريخ وظائفهم بالتوالي.

وكذلك قل عن مديري البوليس ورؤساء الدوائر الأخرى الذين أكتفى المؤلف بذكر بعضهم وأغفل البعض الأخر.

## ٣ - الرسوم والصور

نـود أن نحسـن الظـن بالمؤلـف فـلا تتهمـه دون أن نتثبـت مـن التهمـة. فمـن بـين الصـور التـي نشرهـا ثـلاث صـور تبعـث الريبـة في النفـوس فهـي ترمـي لغـرض واحـد هـو إثبـات توطـن اليهـود في غـزة وخلـق حقـوق تاريخيـة لهـم وإن الكنيسـة والمسـجد الكبـير العمـري بنيـا عـلى أنقـاض الكنيـس اليهـودي. فنـشر هـذه الصـور الموضوعـة ودعمهـا بمعلومـات يهوديـة. وإيـراد كل ذلـك في كتـاب وضعـه عـربي مسـلم ومهـد لـه بمقدمـة عـن حـب الوطـن والوحـدة العربيـة والاسـتقلال حجـة لليهـود يتمسـكون بهـا تمسـكهم بالصـورة التـي رسـموها للهيـكل. ويظهـر أن المؤلـف الـذي مـلأ كتابـه بالكتابـات العبريـة والمعلومـات المسـتقاة مـن مصـادر يهوديـة نـسي تلـك الصـورة... فنـشر في صفحـة ٤١ صـورة رمزيـة لمدينـة غـزة رسـمها أحـد اليهـود وكتـب عليهـا بالعبريـة (غـزة بلـد شمشـون مدينـة جميلـة) ولا نـدري مـاذا يقصـد بنـشره هـذه الصـورة أهـو يرمـي إلى تشـويق اليهـود لهـذه المدينـة الجميلـة أو لإثبـات حقهـم فيهـا بمـا أورد مـن المعلومـات - اليهوديـة عـن احتكارهـم للتجـارة والصناعـة و ( تأسيسـهم مسـتعمرة خاصـة في ميناء (ميومـا) ... ص ٤٠ ... وهـو يريـد أن يثبـت أيضًـا أن اليهـود كانـوا ممتلكـون الأراضي في غـزة منـذ القـرن الخامـس عـشر فقـال: «يظهـر أن فئـة قليلـة مـن هـذه الطائفـة «أي الطائفـة اليهوديـة» كانـت يومئـذ تحـترف الزراعـة بدليـل أن رجالهـا سـألوا الحاخـام الأكـبر قائلـين: «أيجـب علينـا أن ندفـع ضريبـة الأراضي؟!»

وأورد في صفحة ٢٣٧ على لسان السائح اليهودي (ميشولام اوف فولتيرا) ما يلي:

«ومما قاله هذا السائح عن غزة أنه لم يكن حولها يومئذ سور وأنه كان يعيش فيها ستون عائلة يهودية وأربعة من السامريين وأنه كان لليهود في غزة كنيس صغير وكانت لهم فيها دور وأراضٍ وكروم.»

***

ويريد أن يثبت كيان اليهود في غزة فقال: «وقد مر من غزه عام ١٦٦٠م شبتاي تسفي في طريقه من مصر ورافقه في رحلته تلك (ناثان) النبي الغزي الذي كان من أخلص تلاميذه وقد اتخذها (شبتاي) بعد ذلك مركزًا للدعاية (!؟) التي كان يقوم بها ... ص ٤٢

وذكر في الصفحة ٢٣٩ للبرهنة على وجود الكنيس اليهودي ما يلي:

وفي عام ١٦٤١م زارها السائح اليهودي (صموئيل بن داود) وهو من يهود كريت وقد قال عنها أنها مدينة جميلة وأن فيها كنيسًا لليهود وحمامًا وخانًا ومئة دكان تباع فيها أنواع المؤن والبضائع التجارية».

وقال نقلًا عن الكاتب اليهودي ويلنائي في صفحة ٤٠: «ولما كان قد حظر على اليهود دخول القدس في أواخر حكم الرومان فقد جاؤوا إلى غزة لتأدية الصلاة وهناك من يقول إنهم كانوا يغشون أسواقها بقصد التجارة».

## الكنيس اليهودي المزعوم

ثـم اقـرأ مـا جـاء في الصفحـة نفسـها مـا يقولـه حـضرة المؤلـف « ولمـا زارهـا الحاخـام يحـي ئيـل بريـل عـام ١٨٨٢ م وجـد فيهـا يهـودًا تجـارًا وكان أكثرهـم يتعاطـون تجـارة (الحنضـل) فيصنعـون مـن جـذوره الأدويـة ويصدرونهـا للخـارج، وقـد زار اليهـود ورأى عـلى بعـض الأبـواب ( العـشر كلـمات ) وفوقهـا كلمـة - كتبهـا المؤلـف بالعبريـة - إشـارة إلى اللـه، ورأى جماعـة مـن الكاثوليـك يبنـون كنيسـة لهـم حيـث كان الكنيـس اليهـودي المتهـدم مبنيًـا مـن قبـل، ثـم يوضـح ذلـك في الهامـش بقولـه « يقـول الكاتـب اليهـودي ويلنـائي أن قسـمًا مـن أعمـدة المسـجد العمـري الكبـير بغـزة مـن بقايـا الكنيـس اليهـودي المتهـدم. ويقـول كامـل أفنـدي المبـاشر مـن أعيـان غـزة أنـه كان للكنيـس اليهـودي المتهـدم هـذا بـاب يمكـن فكـه إلى شـقف متعـددة وأن اليهـود نقلـوا هـذا البـاب إلى الخليـل وركبـوه عـلى بـاب مـن أبـواب كنيسـهم هنـاك»... ثـم زيـن الصفحـة ٤٣ بحجـر يقـول إنـه وجـد في غـزة مـن بقايـا هـذا الكنيـس...!!

أليـس مـما يدعـو إلى الغرابـة أن يهتـم المؤلـف بنـشر هـذه الصـور ونقـل هـذه المعلومـات المدسوسـة عـن توطـن اليهـود وآثارهـم، وعـن الكنيـس المزعـوم، والكلـمات العـشر، أليـس مـما يبلبـل الأفـكار أن يجمـع عـربي مسـلم متطوعًـا لوجـه اللـه أقـوالًا متشـعبة ليبرهـن لنـا أن المسـيحيين بنـوا كنيسـتهم حيـث كان الكنيـس اليهـودي المتهـدم وأن قسـمًا مـن أعمـدة الجامـع الكبـير العمـري مـن بقايـا هـذا الكنيـس المزعـوم؟! ثـم يذهـب بـه الأمـر إلى أبعـد مـن ذلـك، فيسـتغل المـوتى لإثبـات هـذه المعلومـات

الخاطئـة لأن أحـدًا مـن الأحيـاء لا يوافقـه عليهـا فـيروي روايـة شـفوية عـن كامـل أفنـدي المبـاشر الـذي انتقـل إلى رحمـة اللـه منـذ بضـع سـنوات وهـو لم يكـن مؤرخًـا... فيزعجـه في مقـره الأخـير حيـث لا يملـك مـا يملكـه الأحيـاء لنفـي هـذه الروايـة ودحضهـا. قـد تـزول هـذه الغرابـة مـن نفسـك حـين تعلـم أن الصحـف اليهوديـة اسـتقبلت هـذا الكتـاب بالترحيـب والتهليـل...!! وقـد يترجمونـه قريبًـا للغـة العبريـة...!! وأنهـم هـم المصـدر الـذي زود المؤلـف بالصـور وأمـده بالمعلومـات؟!

وانظـر إلى صفحـة ٣٠٢ وأرجـع البـصر كرتـين... ثـم بحلـق جيـدًا في صـوره المؤلـف وهــو يفتــش مســتعمرة (نقبــا) الجديــدة وبجانبــه مختارهــا اليهـودي، واقـرأ بجانبهـا تفصيـلات المؤلـف عـن هـذه المسـتعمرة اليهوديـة وغيرهـا مـن ممتلـكات اليهـود... ثـم فتـش الكتـاب مـن أولـه إلى آخـره فهـل تجـد حـضرة المؤلـف قـد تواضـع فصـور نفسـه مـع أحـد مخاتـير القـرى العربيـة أو أهتـم بهـا مثـل هـذا الاهتـمام..؟!!

## الشمعدان ذو السبع شعب

.... وتعال نقفز معًا إلى صفحة ٣٣٣ فقد نشر المؤلف في هذه الصفحة صورة - حرص على أن تكون واضحة كل الوضوح - يدل مظهرها أنها صورة موضوعة برسم اليد أخذت عن صورة وجدت منقوشة على أحد الأعمدة العلوية في الجامع الكبير العمري. والمؤلف ينقل كعادته أقوال المؤرخين عن هذه الصورة مرجحًا وجود الكنيس المزعوم بكثرة ما أورد من الأقوال المنقولة عنه. فكرر قول (ميلاتيوس) أن أعمدة الكنيسة - الجامع العمري الكبير في الوقت الحاضر - كانت في كنيس لليهود بدليل أنه منقوش على أحد هذه الأعمدة الشمعدان ذو السبعة فروع ثم يقول: «ليست لهذه الأعمدة أية صلة بالأعمدة التي أرسلت من القسطنطينية لبناء كنيسة أفدوكسيه، ويهتم كثيرًا بهذا النقش ويطيل البحث فيه كأنه أثر نفيس يزيد من عظمة الإسلام ومن مجد العرب. فلم يتورع أن يضيف ذلك إلى الأسباب العديدة التي أجهد نفسه في حبكها لكي يبرهن على أن اليهود كان لهم كنيس في غزة وأن الجامع الكبير العمري بني بشكل كنيسة على أنقاض هذا الكنيس.

***

والحقيقة أن ما قاله الأستاذ (كليرمان غانو) الذي زار غزة سنة ١٨٧٠م هو الأصح وكان جديرًا بالمؤلف الأخذ بهذا الرأي وعدم إيراده بتلك الصورة الملتوية. فاليهود كما يقول الأستاذ (كليرمان غانو) كانوا في تلك العصور قلة لا يعتد بهم ولم يوطدوا أقدامهم في غزة وكانوا دائمًا مضطهدين في عصر انتشرت فيه النصرانية وقويت شوكتها ولذلك لا

يعقـل مطلقًـا أن يكونـوا قـد تمكنـوا مـن بنـاء كنيـس لهـم وقـد كانـوا يومئـذ لا حـول لهـم ولا قـوة أمـام المسـيحيين. وقـد قـال المـؤرخ الإنجليـزي مايـر في كتابـه (تاريـخ مدينـة غـزة) ونقـل ذلـك المؤلـف في صفحـة ٤٠: «إن اليهـود كانـوا في ذلـك العهـد يتجنبـون دخـول هـذه المدينـة - أي غـزة - بسـبب مبـادئ سـكانها وعقائدهـم الدينيـة، إذ كانـوا في تلـك الأيـام مـا يزالـون يعبـدون الأوثـان».

فكيف اسـتطاعوا إذن بناء كنيس لهم دون أن يسـتقروا فيها.

وقـد قـال المؤلـف نفسـه في ص ٣٣ إن اليهـود «لم يسـتطيعوا أن يسـلكوا الطريـق التـي سـلكها الفراعنـة مـن قبلهـم أو المهاجـرون والغـزاة الآخـرون مـن بعدهـم تلـك الطريـق التـي تنتهـي عنـد غـزة ذلـك لأن فيهـا قومًـا جباريـن بـل سـلكوا بعـد أن اجتـازوا صحـراء سـيناء طريـق آدوم ومـوآب ومـن هنـاك أرض الميعـاد».

وقـد قـال عـن غـزة في أيـام بنـي اسرائيـل في ص ٣٤ «إن غـزة وإن كانـت قـد اعتـبرت في عهـد يوشـع بـن نـون هـذا مـن أمـلاك سـبط يهـوذا، إلا أن اليهود لم يتمكنـوا يومئـذ مـن إخضاعهـا وإذلالهـا فظلـت بعيـدة عـن نفوذهـم».

فأنـت تـرى أن غـزة مسـتعصية عـلى اليهـود في مختلـف عصـور التاريـخ وأنهـا لم تدخـل في حكمهـم إلا في أيـام سـليمان فلـم يوطـدوا أقدامهـم فيهـا حتـى نصـدق أنهـم اسـتطاعوا إنشـاء الكنيـس المزعـوم وآيـة ذلـك مـا ذكـره المـؤرخ المشـهور (كليرمـان غانـو) ونقلـه المؤلـف في هامـش ص ٤٠: «لمـا دخـل المسـلمون أرض اليهوديـة لم يجـدوا فيهـا يهـودًا لأن حـروب فسباسـيان، وتيطـس، وتراجـان وأدريانـوس، واضطهـادات ملـوك النصرانيـة

لم تـترك حجـرًا عـلى حجـر مـن اليهوديـة السياسـية وزالـت مـن فلسـطين جميـع التقاليـد اليهوديـة».

***

والقـول الـذي أورده الأسـتاذ (كليرمـان غانـو) وخلاصتـه أن هـذا العمـود هـو أحـد الأعمـدة التـي أرسـلتها الإمبراطـورة (أفدوكسـيه) لبنـاء الكنيسـة في أوائـل القـرن الخامـس للميـلاد هـو القـول المعقـول. ويثبـت ذلـك الآثـار التاريخيـة العديـدة مـن القـرن الأول حتـى القـرن الخامـس، فالشـمعدان ذو السـبعة فـروع ليـس مـن الـضروري أن يشـير إلى الكنيـس اليهـودي وهـو مـن الرسـوم الرومانيـة التـي وجـدت منقوشـة عـلى آثارهـم، فأغلـب الأعمـدة التـي كانـت عـلى الطـراز الرومـاني وجـد منقوشًـا عليهـا شـمعدان ذو سـبع شـعب... وعندمـا نقـب الرهبـان الفرنسيسـكان منـذ عشريـن سـنة في خرائـب مدينـة كفـر ناحـوم عنـد الطـرف الشـمالي مـن بحـيرة طبريـا وهـي التـي اشـتهرت في الإنجيـل بـكلام المسـيح عنهـا وزياراتـه لهـا، وجـدوا بـين خرائبهـا بنايـة المجمـع الـذي جـاء في الإنجيـل أن المسـيح دخلـه وعلـم النـاس فيـه. كـما وجـدوا أعمـدة كثـيرة منقوشـة نقوشًـا بديعـة مختلفـة الأشـكال وكان بينهـا رأس عمـود عـلى الطـراز الكورنثـي وعليـه شـمعدان ذو سـبع شـعب يرجـع تاريخـه إلى القـرن الأول للميـلاد. وعـلى بعـض الأعمـدة الأخـرى تيجـان وغصـون أشـجار وأشـكال كالبيـض وأبـواق وسـكاكين وصـور حيوانـات وعقبـان كان يرمـز بهـا إلى اشـياء روحيـة وفي مقـدور كل إنسـان مشـاهدة هـذه الآثـار أو الاطـلاع عـلى رسـومها في الصفحـة ١٠١٢ مـن المجلـة الشـهرية الصـادرة في أول أكتوبـر سـنة ١٩٢٥.

والمعـروف أن الرومـان كانـوا يكـثرون مـن نقـش الشـمعدان والأبـواق والسـكاكين عـلى أعمدتهـم وأبنيتهـم احتفـالًا بالنـصر الـذي أحـرزه (تيتـوس) عـلى اليهـود عندمـا هـدم الهيـكل.

وورد في دائـرة المعـارف البريطانيـة تحـت مـادة (الشـمعدان) مـا يـلي: «... وجـدت نقـوش للشـمعدان ذي السـبع فـروع عـلى قـوس النـصر المنصـوب لـ(تيتـوس) في رومـا، وقـد عـثر عـلى هـذه النقـوش أيضًـا في الآثـار التاريخيـة التـي اكتشـفت في مدافـن المـوتى في رومـا وتاريـخ الشـمعدان يرجـع إلى كونـه عبـارة عـن مشـعل كان يصنـع مـن غصـون الأشـجار التـي كانـوا يربطونهـا مـن جهـة لـكي يقبـض عليهـا منهـا ويفرقونهـا مـن الجهـة الأخـرى حيـث يغمسـونها بمـواد قابلـة للالتهـاب كالشـمع والدهـن كـما يتبـين ذلـك مـن الرسـوم العديـدة عـلى الأواني الفخاريـة القديمـة. وقـد تـدرج صنـع الشـمعدان المذكـور فأضافـوا إلى قاعدتـه كاسًـا لاسـتيعاب مـا يـذوب المـواد الدهنيـة»... اهــ... فوجـود هـذه النقـوش عـلى الأعمـدة الرومانيـة يبرهـن أن العمـود الموجـود في الجامـع الكبـير العمـري والـذي رسـم عليـه مثـل هـذا الشـمعدان هـو مـن الأعمـدة التـي أرسـلتها أفدوكسـية لبنـاء الكنيسـة. ولم ينقـل مـن الكنيـس اليهـودي المزعـوم.

***

والسـكاكين تشـير في عـرف الرومـان إلى مـصرع قيـصر فقـد أصـدر (بروتـس) كبـير المتآمريـن عـلى مقتـل قيـصر نقـودًا رسـم عـلى وجـه منهـا صـورة رأسـه وعـلى الوجـه الآخـر خنجـران وبينهـما خـوذة الحريـة التـي زعـم (بروتـس) أن الرومـان حصلـوا عليهـا مـن مقتـل قيـصر وكتـب تحتهـا كلمتـا

(EID-MAR) ومعناهـا منتصـف آذار وهـو تاريـخ مـصرع قيـصر. وفي الإمـكان الاطـلاع عـلى رسـم هـذه النقـود في رأس الصفحـة ٢٤٤ مـن الطبعـة الإنكليزيـة لتاريـخ أوروبـا تأليـف روبنسـن وبرسـتد.

وقـد ورد في دائـرة المعـارف البريطانيـة تحـت مـادة (بـوق Horn): أن الرومـان القدمـاء كانـوا يسـتعملون أبواقًـا مـن ثلاثـة أنـواع الأول: كان قصـيرًا يسـتعمله الرعـاة والثـاني أطـول منـه بقليـل كان يسـتعمل للأغـراض العسـكرية والثالـث أكـبر مـن الإثنـين السـابقين وكان يسـتعمل للأغـراض الموسـيقية.

وجـاء فيهـا أيضًـا أنـه وجـد منقوشًـا عـلى عمـود (تراجـان) أبـواق كانـت مسـتعملة في أيـام الرومانيـين. كـما وجـد في أحـد المعابـد الرومانيـة القديمـة حجـر وعليـه نقـوش أبـواق مشـابهة لتلـك التـي وجـدت عـلى عمـود (تراجـان)، وللأبـواق المنقوشـة عـلى قـوس النـصر الـذي نصـب ليوليـوس قيـصر في (سوسـة). فهـذه النقـوش مـن سـكاكين وأبـواق وشـمعدان ترجـع كلهـا للأصـل الرومـاني.

***

أمـا الكتابـة العبريـة التـي ترجمهـا المؤلـف بــ (حنانيـا بـن يعقـوب) فقـد تكـون الأحـرف العبريـة مسـتعملة لكتابـة اللغـة اليونانيـة. فقـد ورد في دائـرة المعـارف البريطانيـة تحـت مـادة اللغـة العبريـة أن الأبجديـة العبريـة كانـت تسـتعمل في كتابـة اللغـات ومنهـا اللغـة اليونانيـة. ومهـما يكـن مـن أمرهـا فليسـت دليـلًا عـلى أن العمـود المذكـور مـن كنيـس يهـودي، فاللغـة العبريـة قديمـة كاللغـة اليونانيـة. والكتابـة بهـا لا تشـير إلى الأصـل

اليهـودي، وهـا هـو المؤلـف قـد أورد كثـيرًا مـن الكتابـات العبريـة في (تاريـخ غـزة) فهـل يعنـي أن هـذا الكتـاب يرجـع في أصلـه إلى اليهـود، كـما أن كثـيرًا مـن المؤلفـات تطبـع باللغـة الإنجليزيـة أو الفرنسـية واللغـات الأخـرى ومؤلفوهـا مـن العـرب فهـل يجـوز اتخـاذ اللغـة دليـلًا عـلى أصـل المؤلـف. ألا يجـوز أن يكـون (حنانيـا بـن يعقـوب) أو (آنانيـاس بـن ياكـوب) مـن الرومانيـين الذيـن نقشـوا العمـود فوضـع أسـمه عليـه بالأحـرف اليونانيـة والعبريـة كـما كان يفعـل (أريسـتونو ثـوس) الفنـان اليونـاني عندمـا كان يضـع أسـمه عـلى اللوحـات التـي كان يرسـمها شـأن الرسـامين والخطاطـين في هـذا الزمـن أيضًـا حيـث يضعـون أسـمائهم عـلى مـا يرسـمون أو يكتبـون، وهـل في وجـود هـذا الاسـم مـا يقطـع بـأن العمـود مـن كنيـس يهـودي؟! أو أن المسـيحيين بنـوا كنيسـتهم عـلى أنقـاض هـذا الكنيـس المزعـوم؟!

زد عـلى ذلـك أن هـذه الصـور التـي نشرهـا المؤلـف عـلى صفحـات (تاريـخ غـزة) كانـت مـا عـدا القليـل منهـا أجنبيـة أو يهوديـة ولم تنـشر فيـه صـور أبنـاء غـزة البارزيـن أو علمائهـا أو أدبائهـا الذيـن كانـت لهـم شـخصيات لامعـة وأهميـة في حيـاة غـزة التاريخيـة والاجتماعيـة والدينيـة.

## حقائق لها أهمية تاريخية

## غزة القديمة - أخلاق الغزيين وطبائعهم- النور الكهربائي - المياه في غزة - بئر الجماقية - بئر الرفاعية.

•••

### ١ - غزَّة القديمة

خرجت غزة من الحرب الكبرى مهدمة البيوت، متداعية البناء، ولما رجع أهلها إليها ألفوها خرائب موحشة وقد أصبحت مأوى للبوم والغربان ومنتجعًا للجرذان. والمؤلف حين ذكر المدينة القديمة ووصف بيوتها وأزقتها أقتصر وصفه على الحالة التي كانت عليها غزة بعد الحرب مباشرة وأغفل ما أدخل عليها من إصلاحات وما أجري في شوارعها من توسيع وتنظيم قلب المدينة رأسًا على عقب فالأزقة الضيقة التي على شاكلة الزقاق الذي نشر صورته في صفحة ٢٥٢ أصبح معظمها شوارع منظمة ولها خطة تنظيم للبناء بموجبها. ويرجع الفضل في ذلك للمجلس البلدي الذي تشكل بالانتخاب عام ١٩٢٨ ولرئيسه المرحوم فهمي بك الحسيني الذي أولى هذه الناحية من الإصلاح جل عنايته واهتمامه، وقد وسعت ونظمت وعبدت في زمانه عشرات الشوارع منها:

١- شارع الإمام الشافعي وهو الشارع الذي يمتد من الجامع العمري الكبير إلى الجنوب ويلتقي بطريق خانيونس وعرضه (١٢) مترًا.

٢- شارع الملك فيصل وهو الشارع الذي يمتد من دار الحكومة القديمة

حتى يلتقي بطريق بئر السبع وعرضه عشرون متراً.

٣- شارع السرايا وهو الذي يمتد من السرايا القديمة ويمر بمحلة الزيتون وعرضه ١٢ متراً.

٤- شارع المحطة وهو الآن عشرون متراً.

٥- شارع فهمي بك وهو الشارع الذي يمتد من شارع عمر المختار ويمر بخان أبي خضره.

٦- شارع دير اللاتين.

٧- شارع قرقش الذي يبتدئ من السينما.

٨- شارع فراس.

٩- شارع الدرج وهو الذي يقطع محلة الدرج من الخروبي ويتفرع إلى جهتي الشرق والغرب.

١٠- شارع سوق التجار الذي كان مصدر أمراض فتاكة.

١١- شارع ساقية حسين.

١٢- شارع أم الليمون.

١٣- شارع سوق الخضار.

١٤- شارع زاوية الهنود.

أما الشارع الرئيسي فيمتد من طريق خانيونس حتى شاطئ البحر وهو الشارع الذي قرر المجلس تسميته باسم (عمر المختار) احتجاجًا على فظائع إيطاليا في البلاد الطرابلسية. وأذكر بهذه المناسبة أن قنصل

إيطاليا في فلسطين كان قد أحتج إلى السلطات المختصة على تسمية هذا الشارع الكبير باسم عمر المختار، فرد رئيس البلدية المرحوم فهمي بك على ذلك بكتاب لا يزال حديث المجالس قال فيه: إذا كان هذا العمل يعتبر إهانة فإن إيطاليا قد أهانت نفسها بإعدامها هذا الشيخ العربي. وها هي إيطاليا المسكينة ذهبت ضحية فظاعتها واعتدائها على الحريات ولم تخلف وراءها سوى الجبن والعار وعمر المختار خالد في غزة وفي كل مكان عربي ولله در شوقي حين يقول:

يا ويحهم نصبوا شعارًا من دم

يوحي إلى جيل الغد البغضاء

## ٢- أخلاق الغزيين وطبائعهم

ذكرني ما كتبه المؤلف في هذا الفصل عن الغزيين خطبة أنطونيوس في رواية يوليوس قيصر التي وضعها الشاعر الإنجليزي الخالد (شكسبير) فقد بدأ أنطونيوس خطبته بعد مقتل قيصر يمتدح (بروتس) ويصفه بين الفينة والفينة بالرجل الشريف حتى لا يغضب غوغاء الشعب الذين أحبوا (بروتس)، ولأنه كان يعلم أن مثل هذا المديح المعسول لا بد من تقديمه رشوة لقبول ما يليه من شديد القول وقوارص الكلم. ولعل المؤلف يريد أعادة تمثيل هذه الخطبة فيحسب أهل غزة كغوغاء روما في عهد (بروتس) فبدأ كلامه يمتدحهم ويصفهم بالكرم والنجدة وحفظ الجوار والصبر والشجاعة والوفاء وعدم الغدر حتى يدخل الطمأنينة إلى قلوبهم فيحسنوا الظن ... ثم يكيل الطعن

كـما يشـاء ... ففعلـه هـذا كـما قـال شـوقي في روايـة مجنـون ليـلى:

كفعـل جزار اليهود بالبقر

برأهـا من العيوب وعقر

يقـول المؤلـف عـن أهـل غـزة أنهـم أهـل صـبر وجلـد، ثـم يعـود فيقـول: «غـير أن الذيـن يتحلـون منهـم بالحلـم، تلـك الصفـة التـي أمتـاز العـرب بها، فإنهـم قليلـون. فقـد دلنـي الاختبـار عـلى أن أكثرهـم حـادو المـزاج، سريعـو الغضـب، ومـن آثـار غضبهـم هـذا أنهـم كثـيرًا مـا يحلفـون بالطـلاق»...ص ٣١٧. ولا أحـاول والمجـال ضيـق أن أرد عليـه بغـير أسـطر قليلـة قـد يراجـع بهـا نفسـه. فالتناقـض في كتابتـه ظاهـر واضـح، إذ كيـف يتفـق الصـبر مـع سرعـة الغضـب والصبـور لا يطيـش حلمـه ولا تثـور عصبيتـه فهـما صفتـان متناقضتـان لا تجتمعـان. لكـن الغـزي يتمثـل دائمًـا بقـول المتنبـي:

إني أصاحـب حلمي وهو بي كرم

ولا أصاحـب حلمي وهو بي جبن

ولا أظـن هـذا القـول يضـير المؤلـف مـا دام يعتقـد أن الغزيـين شـجعان وأن في غـزة قومًـا جباريـن. ولعـل تأثـره بمحيطـه هـو الـذي جعلـه يعتقـد بعصبيـة أهـل غـزة وسرعـة غضبهـم فهـو لم يختلـط بطبيعـة الحـال بأهـل غـزة جميعهـم وإنمـا كان بداعـي وظيفتـه يعـرف قسـمًا منهـم ممـن لهـم ظلامـات يقدمونهـا للسـلطة أو حقـوق يطلبونهـا أو مشـاكل يحلونهـا أو حاجـات يقضونهـا، وصاحـب الحاجـة أرعـن، كـما يقولـون، ومـا ينطبـق عليـه لا ينطبـق عـلى باقـي الغزيـين.

وأمـا قولـه إن الغزيـين كثـيرًا «مـا يحلفـون بالطـلاق» فأمـر لا يصـح اختصاصهـم بـه، فالحلـف والقسـم عـام في جميـع المـدن وهـم أقـل مـن غيرهـم في هـذا المضـمار. فاختصاصـه أهـل غـزه بهـذا تحامـل لا مـبرر لـه. وأحسـب أن المؤلـف نفسـه قـد حلـف مـرارًا «بالطـلاق» فهـل نقـول إنـه سريـع الغضـب عصبـي المـزاج ونسـجل عليـه هـذه الصفـة في كتـب التاريـخ ..!؟

***

والأسـلوب الـذي يصـف بـه المؤلـف أخـلاق أهـل غـزة غريـب في بابـه. فهـو يقـول عنهـم في صفحـة ٣١٧ مـا يـلي:

«أنهـم يغـارون عـلى دينهـم وعرضهـم وشرفهـم، أكثرهـم متدينـون. يدلـك عـلى ذلـك كـثرة الجوامـع والمسـاجد في غـزة وعلـماء الديـن الكثـيرون الذيـن أنجبتهـم غـزة. ولكنهـم في نفـس الوقـت ميالـون للنزهـة وللهـو والطـرب مثلهـم في ذلـك مثـل الشـاعر

الذي قال:

واللـه مني جانب لا أضيعه

وللهـو مني والخلاعة جانب

***

ولـو لم يتمثـل بهـذا البيـت لهـان الأمـر ولأحسـنا الظـن بـه ولكـن مـا جـاء في البيـت لا ينطبـق عـلى الوصـف المتقـدم. ومـن أدب اللياقـة ألا يوصـف

شخص بالخلاعة فضلًا عن سكان مدينة كبيرة عاش فيها المؤلف مدة من الزمن فأكل من ثمارها وشرب من مائها، والخليع في العرف هو الرجل الذي خلعه قومه لتهتكه وخروجه عن قواعد الحشمة والكرامة.

قال الأستاذ محمود عباس العقاد في كتابه (رجعة أبي العلاء) ص ٢٦ يصف الخلاعة: (والخلاعة هي غاية السقوط عند العرب أو عند المتكلمين باللغة العربية، وإنما الأصل في الخليع أنه الرجل الذي يخلعه أهله ويبرأون منه فهو من ثم يجلب على نفسه أكبر العار وإن لم يقترف شيئًا من معاصي الدين والقانون على حسب العرف الحديث. وإنهم ليجدون متسعًا من القول في كل عاص وكل جارم وكل آثم إلا الخليع فلا متسع فيه من القول بعد الخلاعة ... وما عسى أن يقول القائل في خليع. تلك غاية الغايات وقصارى الموبقات، فلا ملامة ولا عتاب).

ومما لا يختلف فيه اثنان أن المحيط الذي يعيش فيه الغزيون ليس فيه من الملاهي ولا من دور الخلاعة أثر واحد يستطيع المؤلف أن يستدل به على تمثيلهم بهذا الشاعر الماجن. فغزة منذ القديم وإلى يومنا هذا مدينة عربية إسلامية محافظة، للحشمة فيها المقام الأول، وكان أهلها وما زالوا محافظين يدأبون على أعمالهم بجد، لا يميلون للهو، ويحاربون الخلاعة، ولا يقبلون في بلدهم خليعًا قط.

***

وقال في صفحة ٣١٨ ما يلي: (... وأما الحشيش والكوكائين والمخدرات الفتاكة الأخرى فلا يستعملها منهم سوى أفراد قلائل ينتمون إلى طبقة العمال. وأما الذين يتعاطون تجارة هذه المخدرات منهم فكثيرون، ولهم في ذلك حيل واسعة تفوق الحيل السائدة في البلاد الأخرى) اهـ.

لست أدري كيف استطاع المؤلف أن يجزم بمثل هذه الأقوال، وكيف استطاع أن يتعرف على حيل مهربي الحشيش والكوكائين والمخدرات الفتاكة الأخرى...؟!! وهو لم يكن مديرًا لدائرة التحري، ولم تنتدبه الحكومة خبيرًا في شئون التهريب. فهل هي خبرة مكتسبة من أقوال الناس التي هي ثروته في الدلالة وتقرير الحقائق التاريخية، أم هي معلومات خطرت في باله فألصقها بتاريخ هذه المدينة. ولو رجع حضرته إلى الحقيقة لوجد أن مهربي المخدرات لا يمتون لغزة بصلة اللهم إلا بضعة أشخاص لا تخلو منهم بلد يعتبرون في حكم النادر، والنادر لا يقاس عليه. فقوله عن الغزيين بمجرد الشبهة والتخمين أنهم يتعاطون تجارة المخدرات يلحق بهم عارًا لا يمحى وسبة لا تزول وهو تحامل واتهام في غير محله لا يقبله الغزيون ويردونه بكل قوتهم.

نعم، ربما كانت غزة في بعض الأوقات مكانًا للتهريب. لبعض الغرباء عن أرضها، فضبطت فيها كميات من المخدرات إلا أنه لا يجوز اتهام أهلها بجريمة غيرهم. فهل يجوز مثلًا أن نتهم المؤلف بالمتاجرة بالمخدرات إذا ضبطت في أراضيه أو في بيارته كمية منها قذف بها بعض المهربين أو وضعها ذو حيلة منهم. وهل يجوز استنادًا إلى هذا القياس أن نسجل في كتاب تاريخي أن تجارة الحشيش والمخدرات كانت من

شأنه ومن شأن أهل غزة. وإنه ليناقض نفسه مناقضة ظاهرة فقد قال قبل قليل أن الغزيين يغارون على شرفهم وإنهم متدينون، فكيف يتهمون بتهريب السموم وهو أمر لا يقوم به إلا من خرجوا على الدين والشرف وتآمروا على الإنسانية.

## ٣- النور الكهربائي

من يطالع ما كتبه المؤلف في الصفحة ٢٥٨ عن النور الكهربائي يتصور أن المجلس البلدي عقد اتفاقًا مع شركة الكهرباء مع ضد رغبة الاهلين فهو يقول: «ولم تعرف غزة النور الكهربائي إلا في سنة ١٩٣٨ يوم تم الاتفاق بين المجلس البلدي وشركة كهرباء فلسطين على إضاءة غزة بالكهرباء. غير أن الغزيين لم يرتاحوا لهذا الاتفاق بل سخطوا عليه بسبب العداء المستحكم بين العرب واليهود من جراء مشروع الوطن القومي اليهودي فثاروا عليه وحطموا مصابيح الكهرباء كلها وقسمًا كبيرًا من الأعمدة». فكأن هذه الثورة التي يشير إليها المؤلف كانت موجهة للمجلس البلدي الذي صوره خارجًا على إرادة ناخبيه وهو أمر لم يقع مطلقًا ولا ظل للحقيقة فيه. وقد أورد المؤلف ذلك كعادته بناء على مسموعاته كأن تدوين التاريخ أسطورة من أساطير أبي زيد يعتمد فيه على الرواية والنقل، في حين أن المجلس البلدي الذي كنت مطلعًا على أعماله زهاء عشر سنوات كان يستهدف أمرًا وقفت شركة الكهرباء حياله حيرى وتحرج موقفها إلى حد بعيد وكانت وطنية المجلس يومئذ رائعة وجرأة رئيسه يضرب بها المثل. وتفصيل ذلك أن المجلس البلدي أراد إنارة غزة بشبكة داخلية على حساب

البلديـة ولمـا كان لا يسـتطيع ذلـك إلا بعـد إخطـار شركـة الكهربـاء حسـب قانـون امتيـاز الكهربـاء فقـد جـرى إخطارهـا حسـب الأصـول لإنـارة غـزة بالكهربـاء في خـلال سـنة مـن تاريـخ الاخطـار، وأرصـدت المبالـغ اللازمـة في ميزانيـة البلديـة لتنفيـذ مـشروع الإنـارة وصـدق عليـه مـن قبـل الحكومـة لعلـم المجلـس أن شركـة الكهربـاء لا تقـدم عـلى مـد الأسـلاك إلى غـزة الأمـر الـذي كان يكبدهـا زيـادة عـلى (١٢) ألـف جنيـه. وقـد ذكـر رئيـس البلديـة المرحـوم فهمـي بـك الحسـيني في منشـوره الانتخـابي سـنة ١٩٣٤ مشـيرًا إلى ذلـك مـا يـلي: «واسـتحصلت عـلى تصديـق الحكومـة عـلى إنـارة المدينـة بالكهربـاء مـن قبـل البلديـة وعـلى صرف الأمـوال لهـذا المـشروع في ميزانيـة هـذه السـنة» وقـد قامـت الشركـة وقعـدت أمـام هـذا العـزم الصـادق ونشـأ خـلاف بينهـا وبـين السـلطة عـلى تفسـير قانـون امتيـاز الكهربـاء وعـما إذا كان يجـوز للمجلـس بعـد مـضي السـنة القيـام بمشروعـه في حالـة عـدم مـد الأسـلاك الكهربائيـة مـن قبـل الشركـة وأمتـد هـذا الخـلاف عـلى تفسـير القانـون مـدة مـن الزمـن والمجلـس يـصر عـلى تنفيـذ مشروعـه إلى أن زار البلديـة المسـتر (هاثـورن هـول ) السـكرتير العـام الأسـبق في حكومـة فلسـطين ففاتحـه رئيـس البلديـة في الأمـر وأخـبره بصراحـة أن الشركـة تتملـص مـن تعهداتهـا وأن المجلـس البلـدي لـن ينتظـر أكـثر مـما أنتظـر وأنـه سـينفذ مـشروع الكهربـاء فـورًا في مدينـة غـزة وللشركـة أن تتخـذ إجراءاتهـا في المحاكـم إن كان لهـا حـق في ذلـك. فطلـب سـعادته الملـف واسـتصحبه معـه إلى القـدس وأخطـر الشركـة للإجابـة حـالًا. ولم يمـض أسـبوع حتـى كانـت شركـة الكهربـاء بـين أمريـن أحلاهـما مـر. فإمـا مـد الأسـلاك إلى غـزة وفي ذلـك خسـارة فادحـة لا تعـوض، أو التنـازل عـن

امتيازها في غزة فتقوم البلدية بمشروعها وفي ذلك أيضًا ضياع حق من حقوق امتيازها. ولما لم تجدها الطرق التي سلكتها للتخلص من ذلك ولم تقدها حملات الصحف اليهودية على رئيس البلدية، أجابت أنها مستعدة لتزويد غزة بالكهرباء ثم اتخذت خطة التسويف إلى أن اضطرت أخيرًا إلى عقد اتفاق مع المجلس. وقد عقد اجتماع في يافا في مكتب سعادة حاكم اللواء برئاسة المستر كروسبي وحضور فهمي بك الحسيني رئيس البلدية والخواجة شابيرو رئيس شركة الكهرباء في تل أبيب وكاتب هذه السطور بصفته سكرتيرًا للمجلس البلدي بغزة. وفي تلك الجلسة وضعت نصوص الاتفاق الذي يشير إليه المؤلف، وكانت في صالح المجلس البلدي ولم تكن الشركة راضية عن هذه الشروط ولكنها كانت مرغمة على قبولها لكي لا ينفذ مشروع البلدية:

وحين أنارت الشركة غزة بالكهرباء لم يقم أحد بتحطيم المصابيح أو الأعمدة، بل أشترك بها عدد غير قليل من الاهلين مقدرين للمجلس جهوده ووطنيته إلى أن كانت الثورة العامة سنة ١٩٣٨ فكان تحطيم بعض المصابيح وقليل من الأعمدة من ضمن الإتلاف التي سببتها الثورة في جميع أنحاء فلسطين كما لحقت إتلاف أخرى بخطوط التلفونات والسكة الحديد وغيرها ولم يكن ذلك ناشئًا بسبب الاتفاق كما ذكر.

فأنت ترى أن انارة غزة بالكهرباء كان عبئًا ثقيلًا على شركة الكهرباء وخسارة فادحة لليهود ليس فيها ما يجرح وطنية المجلس البلدي أو يسيء إلى سمعة غزة.

## ٤- المياه في غزة

من متناقضات المؤلف قوله في صفحة ٢٨١ «وأما من حيث المياه فإن غزة غنية للغاية فيها مياه غزيرة ويمكن العثور على الماء في الأراضي الواقعة حول المدينة على عمق يتراوح بين الثلاثين والأربعين مترًا من سطح البحر».

ثم قوله في صفحة ٢٨٣ يصف بئر (الصفا):

«ولولاها لعطشت المدينة عطشًا شديدًا أو اضطرت لشرب مياه لا تعادلها في الجودة».. وهذا قول كل كلمة فيه تناقض أختها وكل عبارة تخالف التي تليها، إذ كيف يستقيم معنى العطش مع غزارة المياه للغاية، وكيف يكون العطش الشديد مع وجود مياه أقل جودة وأين المنطق من هذا كله...؟!! من المعلوم أنه لا يحدث العطش إلا إذا تعذر وجود المياه أو كانت شحيحة للغاية، وغزه آخر بلد في العالم مهدد بالعطش حتى ولو بلغت نفوسها المليون نسمة وفي استطاعة الطفل الصغير أن يحفر حفرة صغيرة في الرمال على شاطئ البحر فيشرب منها ماء عذبًا. ويلوح لي أن المؤلف يجهل تاريخ المياه في غزة والسبب في حفر الآبار التي ذكرها وإلى القارئ تفصيل ذلك.

لم يكن في غزة بعد الاحتلال مشروع منظم للمياه ولم يكن فيها سوى شبكة بسيطة من مواسير المياه وكان المشتركون في مياه البلدية بضع مئات فقط، ومعظم الأهالي يشربون من الآبار المجاورة لبيوتهم وينقلون المياه إما بالقرب بواسطة (السقايين) أو (بالجرة) ... ولهذا كانت مياه بئر الجماقية - لا الاجماقية كما يسميها المؤلف وكما سيأتي

بيانـه - تزيـد عـن حاجـة الأهلـين لاسـتهلاكهم مـن ميـاه الآبـار الأخـرى في البيـارات كـما هـو شـأن العائـلات القاطنـة في ضواحـي المدينـة في يومنـا هـذا، إلى أن قـرر المجلـس البلـدي المنتخـب سـنة ١٩٢٨ إلـزام السـكان جميعًـا بدفـع رسـوم الميـاه سـواء اشـتركوا فيهـا أو لم يشـتركوا. وكان لا بـد مـن هـذه الخطـوة لحملهـم عـلى الاشـتراك والمحافظـة عـلى الصحـة العامـة وحـصر ميـاه الـشرب في مسـتودع يكـون تحـت إشراف المجلـس ومراقبـة دائـرة الصحـة، وأقبـل النـاس عـلى الاشـتراك في الميـاه وأصبحـت الأغلبيـة السـاحقة تسـتهلك مياههـا بواسـطة مواسـير البلديـة واختفـت القـرب وغيرهـا عـن الأنظـار. وقـام المجلـس البلـدي بـدوره فوسـع شـبكة المواسـير وأمـن وجودهـا في شـوارع المدينـة كـما زادت واردات الميـاه مـن بضـع مئـات إلى عـدة آلاف مـن الجنيهـات.

ومـما يجـدر ذكـره أن الحكومـة نـشرت نظامًـا في سـنة ١٩٣٧ شـبيهًا بقـرار المجلـس السـالف الذكـر منحـت فيـه المجالـس البلديـة حـق إلـزام الاهلـين بالاشـتراك في الميـاه حتـى أنـه يجـوز للمجلـس تركيـب المواسـير - وتحصيـل نفقاتهـا بنفـس الطريقـة التـي تحصـل بهـا ضرائـب البلديـة وهـو نظـام إصلاحـي كان للمجلـس البلـدي بغـزة فخـر السـبق في تقريـره.

وكنتيجـة طبيعيـة لهـذا القـرار أصبحـت بـئر الجماقيـة وحدهـا غـير كافيـة لسـد حاجـة الاهلـين مـن الميـاه ففكـر المجلـس البلـدي يومئـذ في حفـر بـئر جديـدة في واحـد مـن الأماكـن التاليـة:

١ - أرض الجماقية.

٢- أرض المحطة.

٣- أراضي المنتزه.

فوجد من المناسب أن تحفر البئر في أراضي المنتزه لغرضين هامين الأول تشجيع البناء في غزة الجديدة (المحلة الغربية) التي لولا هذه البئر لما بني فيها بيت واحد. والثاني لري بيارة البلدية والحديقة الواسعة المنقطعة النظير والمشهورة باسم (المنتزه).

وقول المؤلف أن مياه المنتزه مالحة لا تصلح للشرب لا ينطبق على الواقع ومن العجيب أن يصدر عنه، وهو يعلم بصفته قائمقامًا لمدينة غزة أن دائرة الصحة العامة حللت مياه المنتزه فوجدت أن نسبة الأملاح فيها قليلة وأنها صالحة للشرب ولو قال إنها أقل عذوبة من (بئر الصفا) لكان ذلك أصح وأصدق في التعبير. على أن المجلس البلدي لم يكتف ببئر المنتزه بل كان مزمعًا حفر بئر أخرى في أحد المكانين الآخرين. فنشبت الثورة الوطنية سنة ١٩٣٨ وأعتقل رئيس المجلس المرحوم فهمي بك الحسيني ونفي إلى صرفند. وعين في منصبه في ٢٩-١-١٩٣٩ رئيسها الحالي رشدي بك الشوا. وكان حفر بئر الصفا خطوة طيبة في تأمين مياه الشرب العذبة للسكان الذين يتزايدون يومًا بعد يوم.

## بئر الجماقية

يقـول المؤلـف في ص ٢٨١ مـا يـلي: «أمـا (بـئر الاجمقيـة - كـذا)- فإنهـا أقـدم هـذه الآبـار عهـدًا. لا يعـرف أحـد بالضبـط مـن الـذي حفرهـا، ومتـى، غـير أن جميـع الغزيـين يعتقـدون أنهـا قديمـة جـدًا وإني لمعتقـد أن أسـم (الاجمقيـة) محـرف مـن كلمـة (الجقمقيـة) وأن هـذه البـئر حفـرت في زمـن الملـك الظاهـر جقمـق أبـن الملـك الأشرف برسـباي (عـام ٨٤٢ للهجـرة). اهــ

ويـأبى المؤلـف دائمًـا إلا أن يناقـض نفسـه، وأن ينقـل ويحـرف كيفـما شـاء كأن التاريـخ طـوع بنانـه ... فـتراه يقـول أيضًـا في صفحـة ٣٤٨ عنـد ذكـره مسـجد الشـيخ خالـد ... (ودفـن فيـه أيضًـا الشـيخ جـماق جـد أسرة جـماق وإليـه تنسـب سـاقية الجماقيـة...!!)

وإليـك مـا يقولـه الأسـتاذ الشـيخ عثـمان أفنـدي الطبـاع ردًا عـلى مـا كتبـه المؤلـف:

«هـذا خلـط وتحريـف وابتعـاد عـن الحقيقـة سـببه الركـون إلى الأقاويـل والإعتـماد عـلى قـول مـن لا يعتـد بأقوالهـم فالسـلطان جقمـق كان في القـرن التاسـع وبـئر الجماقيـة - لا الاجماقيـة - موجـود قبلـه بأكـثر مـن مئـة سـنة ونسـبت إلى حافرهـا وبانيهـا الشـيخ محمـد جـماق المدفـون بمسـجد الشـيخ خالـد وذكـره المؤلـف في ص ٣٤٨ وهـو جـد آل جـماق مـن الأسر القديمـة المنقرضـة بغـزة واشـتهرت بهـذا اللقـب مـن عهـد جدهـا الأمـير بـدر الديـن جـماق وكان في القـرن السـابع في أيـام الملـك الظاهـر بيـبرس ومنهـا الشـيخ محمـد جـماق وكان في القـرن الثامـن وحفـر هـذه البـئر وبناهـا ووقفهـا وأشـتهر بهـا وكان ماؤهـا معينًـا وافـرًا صحيًـا كافيًـا لأهـالي غـزة وتجـدد

بنـاء مسـتودع المياه سـنة ١١٠٤ ونقـش عليـه:

بـدا ذا المنهل العذب العميم

ومـن به على الخلق الكريم

فقـل فيه وارخ صح هذا

سـبيل الماء جدده الحكيم

## بئر الرفاعية

وعـلى عادتـه في التخمـين والاعتـماد عـلى الأقـوال التـي لا قيمـة تاريخيـة لهـا قـال عـن بـئر الرفاعيـة: «وأمـا بـئر الرفاعيـة فقـد حـضرت عـام ١٢٨٥ للهجـرة والـذي حفرهـا هـو أحـد حـكام غـزة في العهـد الـتركي (أحمـد رفعـت بـك الشركـس). وكان هـذا يومئـذ متسـلمًا بغـزة. ومـن يـدري، فلعلـه لم يحفـر بـئرًا جديـدة وإنمـا هـو نظـف البـئر القديمـة التـي كانـت هنـاك والتـي كانـت تعـرف ب( بـئر الـبرج ) ... إلـخ».

ويـرد الشـيخ عثـمان أفنـدي الطبـاع عـلى هـذا فيقـول: أن البـئر والسـاقية قديمتـان جـدًا وحينـما تملكهـا أمـراء آل رضـوان بنـى بهـرام باشـا أمـير اللـواء السـبيل بالقـرب مـن البـئر سـنة ٩٧٦ هــ. واتخـذوا مـن ميـاه البركـة الكبـيرة مجـاري للـدار الخاصـة بهـم والحـمام والـسراي والحديقـة، وكانـت البـئر تعـرف قديمًـا ببـئر القلعـة. ثـم بتـوالي الزمـن دثـر ذلـك وهجـرت البـئر وخـرب السـبيل فقـام رفعـت بـك قائمقـام غـزة سـنة ١٢٨٧ هــ. بترميـم البركـة وتنظيـف البـئر وتجديـد السـبيل وعـمارة الشـبكة والمـدار وأرخ ذلـك أحـد علـماء غـزة كـما هـو منقـوش عـلى سـبيل السـاقية المذكـورة سـنة

١٢٨٧ هـ بقوله:

بيارة تمت على أعلى نظام

رفعت بك شادها القائمقام

لما أنتهى تعميرها تاريخها

زها ابتهاجًا فادخلوها بسلام

ومن ذلك يعلم أن رفعت بك كان قائمقامًا لا متسلمًا وأن العمارة منه كانت بالتاريخ المذكور ولذلك أشتهرت بالرفاعية ولم يكن له غير التجديد والترميم. ويوجد تاريخ آخر على جانب البركة من الجهة الشرقية ومضمونه كما تقدم فلا حاجة لذكره وهي مع دار السعادة التي تعرف اليوم بـ (الدبوية) والساحة الكبيرة التي كانت حديقة للدار المذكورة ومحل السرايا الأخرى وكانت يواخير واصطبلات مذكورة بوقفية آل رضوان ونوه بها المحبي في تاريخه.

## الأماكن الأثريّة

## (قبر شمشـون - ضريح السـيد هاشـم - بيت حنون - الشيخ عجلين - المنطار)

•••

أورد المؤلـف في كتابـه تاريخًـا مغلوطًـا عـن الأماكـن الأثريـة في غـزة وفيـما يـلي رأي الأسـتاذ الشـيخ عثـمان الطبـاع فيـما كتبـه المؤلـف ننـشره في فصلـين الأول: الأمكنـة الأثريـة والثـاني: حقائـق حرفهـا المؤلـف، والأسـتاذ الطبـاع يواصـل منـذ أكـثر مـن ثلاثـين سـنة دراسـة تاريـخ غـزة بالتفصيـل وهـو مؤلـف كتـاب (إتحـاف الاعـزة في تاريـخ غـزة) المعـد للطبـع ويشـير إليـه المؤلـف في كتابـه ويقـر بخبرتـه ونقـل عنـه في كتابـه (تاريـخ بـئر السـبع وقبائلهـا):

### ١- قبر شمشون

يقـول المؤلـف في صفحـة ٧٦ في سـياق بحثـه عـن قـبر شمشـون الجبـار: «وأمـا الغزيـون فإنهـم يعتقـدون أن المقـام المعـروف بــ(أبي العـزم) الآن هـو قـبر شمشـون.»

ونسـبة هـذا الاعتقـاد للغزيـين غـير صحيحـة، كيـف وهـم يشـاهدون قـبره لجهـة القبلـة بخـلاف القبـور التـي قبـل الإسـلام فإنهـا كانـت تبنـى لجهـة الـشرق. ويعرفـون أن هـذا المحـل كان زاويـة للشـيخ محمـد أبي العـزم المغـربي وقـد ذكـره مصطفـى أسـعد اللقيمـي الحسـني في رحلتـه التـي نشرهـا المؤلـف في صفحـة ٢٤٢-٢٤٥. والشـيخ أبـو العـزم هـذا مـن أوليـاء المغاربـة المشـاهير ومـن ذريتـه جـد العلامـة المحـدث الشـيخ أحمـد المؤقـت

الغـزي الأصـل المقـدسي المولـد فقـد ذكـر ذلـك المـرادي في كتابـه (سـلك الـدرر في أعيـان القـرن الثـاني عـشر) فجـاء في الصفحـة ١٧٥ مـن الكتـاب المذكـور مـا يـلي: (أحمـد بـن محمـد بـن يحـي الشـهير بالمؤقـت القـدسي المولـد الغـزي الأصـل... أنتقـل بعـض جـدوده مـن غـزة هاشـم العذبـة المـورد وهـو مـن ذريـة «أبي العـزم» أحـد أوليـاء المغاربـة المشـاهير» اهــ.

وبنـي هنـاك مسـجد وكتـب عـلى بابـه (أمـر بإنشـاء هـذا المسـجد المبـارك مولانـا ملـك الأمـراء المقـر الأشرف السـيفي قانصـوه الأشرفي كافـل المملكـة الغزيـة أعـز اللـه أنصـاره بتاريـخ صفـر سـنة ٩٠٨٠هــ. وبعـد هـدم الجامـع المذكـور نقلـت هـذه البلاطـة ووضعـت فـوق نافـذة بمكتبـة الجامـع العمـري الكبـير.

## ٢- ضريح السيد هاشم

جـاء في الصفحـة ١١٣: «وهنـاك مـن يقـول إن هاشـم غـير مدفـون في الموقـع الحـالي المعـروف بـ(سـيدنا هاشـم) مـن حـارة الـدرج وإنمـا هـو مدفـون في قبـة الشـيخ رضـوان بدليـل مـا جـاء في قـول أحـد أصحابـه الذيـن كانـوا يرافقونـه في رحلاتـه بـين مكـة وغـزة: وهاشـم في ضريـح وسـط بلقعـة تسـف الريـاح عليـه بـين غـزاة

ومـن يـدري لعـل رفاتـه نقلـت مـن موقـع الشـيخ رضـوان إلى حيـث هـي الآن»

وقـد كرر هذه الرواية في صفحة ٣٣٧.

***

لست أدري من هو الذي يقول إن هاشمًا دفن في قبة الشيخ رضوان. فلم يسبق أن سمعنا هذا القول من غير المؤلف. وأورد الشيخ عثمان الطباع عن ضريح السيد هاشم ما يلي:

«لم نسمع قبل هذا أنه في قبة الشيخ رضوان التي حدثت بعد مدفن هاشم بمئات السنين. فقد رأيت بأم عيني لوحة في قبة الشيخ رضوان كتب عليها «قد بني وعمر هذا المقام الشريف المبارك أمير الأمراء مراد بك في غزه سنة ٩٧١ هـ». ولو دفن بها لما اشتهرت بالشيخ رضوان ولكانت الشهرة له. كيف ونفس مدينة غزة اشتهرت به. وقد دفن الشيخ إبراهيم المتبولي بجانب القبر المنسوب للصحابي المشهور سليمان الفارسي بقرية سدود فلم يغير ذلك من شهرته شيئًا. وجاء في كتاب «اتحاف الاعزة»: ودفن هاشم في موضعه المعروف وكان بلقعة رملية لا بناء فيها بمغارة كبيرة عميقة ثم صار عنده تربة وخفي أثره بتوالي الأزمان والحروب ثم أظهر في القرن الثاني عشر وأحيط ضريحه بالبناء وبنيت عليه قبة وصار يقصد للزيارة، وقد ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان وزاره الشيخ عبد الغني النابلسي في سنة ١١٠١هـ وكذلك الدمياطي في رحلته، ثم جدد عليه مقصورة عظيمة بقبة شامخة وأزيلت تلك المقبرة وبني مكانها الجامع المنسوب إليه في سنة ١٢٦٧ هـ ولم يعترض على صحة هذا ولا يوجد من يقول أنه بخلاف هذا الموضع».

## ٣- بيت حنون

ويحدثك المؤلف عن (بيت حنون) فتارة يقول إن (حنون) هذا نبي وطورًا يذكر أنه ملك غزة في عهد أشور ولا ندري أي الرأيين نتبع وأيهما نصدق. قال في هامش صفحة ١٣٣: «هناك على ضريح النبي حنون بقرية بيت حنون من أعمال غزة بلاطة كتب عليها الكلمات التالية: «بسم الله الرحمن الرحيم. إنما يعمر مساجد الله... أنشأ هذا المسجد المبارك الأمير الأجل الاسفهسلار الكبير الغازي المجاهد شمس الدين سنقر الملكي الكاملي العادلي عند كسره الافرنج خذلهم الله تعالى ببيت حنون يوم الأحد النصف من الآخر سنة ٦٣٧ هـ. وبناه مسجدًا للنصر وفقد من أستشهد من أصحابه في الوقعة.»

ليس في هذه الكتابة على البلاطة ذكر لحنون ولا أنه نبي فلا بجوز إيراد ذلك في تاريخ غزة وذكر ما لا صحة له ولو كان متناقلًا بين عامة الناس. والحقيقة أن (حنون) هذا ملك وثني ونفس «المؤرخ» ذكر ذلك في صفحة ٢٩٩ عند ذكر بيت حنون وقال: «إنها عاصمة (حنون) ملك غزة في عهد أشور وهو الذي حالف المصريين ليتخلص من نير الأشوريين، غير أنه فشل، ووقع أسيرًا في يد أعدائه» فكيف يجوز للمؤلف أن يعبر عنه بأنه نبي بعد العلم بأنه ملك وثني!

## ٤- الشيخ عجلين

وأستمر الشيخ الطباع في رده قال: «وأغرب من ذلك ما قاله في صفحة ٣٥٥ عند ذكر مزار الشيخ عجلين: (هناك بلاطة فوق الباب كتبت عليها الكلمات التالية: «بسم الله الرحمن الرحيم. إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وأتى الزكاة ولم يخش إلا الله. أمر ببناء هذا المسجد المبارك لله وفي طاعة الله وابتغاء مرضاته... الشيخ إلياس بن سابق بن خضر غفر الله له وأثابه في شهر صفر سنة إحدى وسبعين وستمائة رحم الله من دعا له وجميع المسلمين، ثم قال: «إن هذه الكتابة هي أقدم كتابة أثرية وجدت في غزة» وهذا خلط واضح وغلط صريح... حيث لا يوجد الآن باب لمزار الشيخ عجلين ولا توجد فيه تلك البلاطة قطعًا. نعم هي موجودة فوق باب مزار الشيخ إلياس بشارع ساقية الطوابين ويوجد أقدم منها وهي الكتابة الموجودة بجامع الشيخ زكريا والكتابة الموجودة بمزار الشيخ بشير وكتابات أخرى على القبور القديمة من عهد الحروب الصليبية، وما أكثر ما ينسى المؤلف ويذهل عما كتبه بيده فيأتي بعده بما يناقضه....»

## ٥- المنطار

قال المؤلف في صفحة ٣٢٧: «وقد اختلفت الآراء في أسباب تسميته بالمنطار فمن قائل: (وهم المسلمون) أن أصل هذه الكلمة (من) وهو اسم شيخ و(طار) بمعناه المعروف. أي أن الشيخ (من) قد طار. ومن رأي هذا القائل إن (من) كان شيخًا جليلًا وأنه طار بعد موته.

ومـن قائـل (وهـم المسـيحيون) إن أصـل هـذه الكلمـة «المطـران» وأنـه كان يعيـش فـوق ذلـك التـل في سـالف الأزمـان أسـقف جليـل القـدر، ولمـا مـات هـذا الأسـقف دفـن هنـاك فجـاء المسـلمون وحرفـوا الكلمـة فجعلوهـا «منطـار» بـدلًا مـن «مطـران ... إلـخ»

وإليـك مـا يقولـه الأسـتاذ الطبـاع: «هـذا يـدل عـلى أن المؤلـف يعتمـد في تأليفـه عـلى آراء العامـة فينقلهـا ويكـثر مـن روايتهـا، فمـن هـم الذيـن اختلفـت آراؤهـم في تسـميته بالمنطـار، وأيـة أهميـة لذلـك حتـى يتنافـس عـلى أصلـه المسـلمون والمسـيحيون؟!! المنطـار جبـل يطـل عـلى البحـر وعـلى أماكـن بعيـدة مـن الجهـات الأخـرى فلذلـك أتخـذ في الزمـن الغابـر محـلًا لنطـرة المدينـة وخفرهـا مـن مهاجمـة العـدو فاشـتهر لذلـك بالمنطـار أي محـل النطـرة وهـي الحراسـة والخفـر والحفـظ بالعـين. وقـد أطلـق هـذا الاسـم أيضًـا عـلى أكمـة في بيسـان. وقـد دفـن بـذروة المنطـار بغـزة في القـرن الخامـس الشـيخ محمـد البطاحـي وأحيـط قـبره ببنـاء وأتخـذ لـه مـزار وكان هنـاك إيـوان لقبتـين وغرفـة وسـبيل مـاء للـشرب والوضـوء وهـو مسـجد صغـير ومـأوى للحراسـة وأن غلـب عـلى المحـل أسـم المنطـار.

ورأيـت في قيـود اجـمال الدفـتر الخاقـاني أرضًـا تعـرف بـأرض المنطـار ذكـر عنهـا أنهـا وقـف عـلى مصالـح تربـة ومسـجد الشـيخ المنطـار وتاريـخ الوقفيـة سـنة ٩٦٤ هــ ثـم أتخـذ هنـاك مقـبرة لعـرب الباديـة والقـرى التـي كانـت قريبـة منـه ومـن مغـارة تعـرف بمغـارة «سـقاعة» وهـو العلامـة المتنسـك الشـيخ برهـان الديـن إبراهيـم بـن زقاعـة الـذي لـه تراجـم في التاريـخ ومؤلفـات وديـوان شـعر».

## حقائق حرفها المؤلف

## غزة والإمام الشافعي - مولد سليمان بن داود - الأمير شمس الدين قوش – محمد الريس الحكيم

•••

### ١- غزَّة والإمام الشَّافعيّ

قال المؤلف في سياق حديثه عن الإمام الشافعي في صفحة ١٢١: «كان الشافعي شاعرًا مفلقًا مطبوعًا ويروى أنه كان بين كل آونة وأخرى يذكر غزة حتى أنهم قالوا عنه أنه حن إليها يومًا فقال:

وإني لمشتاق إلى أرض غزة

وإن خانني بعد التفرق كتماني

سقى الله أرضًا لو ظفرت بتربها

كحلت به من شدة الشوق أجفاني

***

ويريد المؤلف أن يبرهن على شاعرية الإمام الشافعي بيتين من الشعر لم يقلهما الإمام الشافعي ولم يتعرف عليهما. فالإمام الشافعي غادر غزة مع والديه وعمره سنتان فلم يكن يعرف أرض غزة حتى يشتاق إليها ويحن إلى أرضها. والبيتان المذكوران حرفهما المؤلف ونسبهما للإمام الشافعي بدون حق وهما لإبراهيم بن عبد الله الطنزي ذكره العماد في الخريدة قال: ذكر لي الفقيه أحمد طغان البصروي أنه لقيه

في رمضـان سـعنة ٥٦٨ هــ بباعيناثـا وكتـب لي بخطـه هـذه الأبيـات:

وإني لمشـتاق إلى أرض طنزة

وإن خاننـي بعد التفرق أخواني

سـقى الله أرضًا لو ظفرت بتربها

كحلت بها من شـدة الشوق أجفاني

فشـتان بـين غـزة وهـي بلدنـا هـذا، وطنـزة وهـي بلـد بجزيـرة أبـن عمـر ومـن ديـار بكـر كـما ذكـره ياقـوت الحمـوي في معجـم البلـدان صفحـة ٦٢ الجـزء السـادس.

## ٢- مولد سـليمان بن داود

وجـاء في هامـش الصفحـة ٣٤: «يعتقـد الغزيـون أن سـليمان هـذا ولـد بغـزة. ولم يـرد في الكتـب والأسـفار مـا يؤيـد ذلـك».

«وهـذا التعبـير يوهـم أن ذلـك عقيـدة عامـة راسـخة عنـد الغزيـين مـع أن الأمـر ليـس كذلـك. نعـم ذكـر ذلـك في الأنـس الجليـل ونقـل عنـه النابلـسي وغـيره ولا يعـرف ذلـك مـن أهـل غـزة غـير القليـل وأكـثر مـن يعرفونـه لا يعتقـدون بـه لأنـه لم يسـتند إلى دليـل. ولـو كان معتقـدًا عامًـا - كـما يقـول المؤلـف - لتناقلـوه جيـلًا بعـد جيـل وحافظـوا عـلى موضـع ولادتـه وأشـهروه».

## ٣- الأمير شمس الدين قوش

سبق أن ذكرنا للقارئ عند تحليلنا شخصية المؤلف أن لميوله سيطرة تامة على ما يكتب فهو يجنح دائمًا لذكر أقربائه وأصهاره حتى ليشط به القلم فيكاد يلصق بهم أشياء قد لا يستحبونها، وقد ذكر في صفحة ١٤٢ ما يلي: « ... إن لفظة البرلي هذه محرفة من الكلمة التركية «برنولو» ومعناها ذو الأنف الكبير ... والأمير شمس الدين هذا هو جد آل البورنو من الأسر المعروفة بغزة».

وإليك ما يقوله الأستاذ الطباع:

«دعواه التحريف غير ثابتة وعلى فرض أنها محرفة فمن أين علم أنه جد آل البورنو. مع العلم أنه من المماليك الجراكسة أقامه الملك المظفر سيف الدين قطز أميرًا بالساحل وغزة بعد أن أنكسر التتر عند بيسان وانهزم إلى دمشق في منتصف القرن السابع - وجد آل البورنو أتى إلى غزة من ديار بكر في أوائل القرن الثالث عشر كما هو معروف. ورأيت حجة شرعية مؤرخة في ١٥ محرم سنة ١٢١٣ ذكر فيها أحمد بن محمد البورنه ابن الحاج بكير الترك، وأحمد هذا هو أول من سكن غزة منهم، وكان يتكلم اللغة التركية كأهل ديار بكر فلقب لذلك بالترك، وغير هذه الأسماء وقبل هذا التاريخ لم يوجد أحد منهم بغزة. وقد أنجب جدهم هذا غير واحد من العلماء والتجار والصلحاء فهم أجل ممن أراد أن يلصقهم بهم وقد لا يجمعه معهم غير آدم عليه السلام.» اهـ

## ٤ - محمد الريس الحكيم

قال المؤلف في صفحة ٢٤٤ معلقًا على رحلة مصطفى أسعد اللقيمي: «وقد وفد... محمد الريس الحكيم، ثم قال في الهامش «إن هذه الكلمة أيضًا محرفة وفي الأصل (الهرش) ويجزم الأستاذ الشيخ عثمان أفندي الطباع صاحب الباع الطويل في تاريخ الأسر الغزية أن هذا هو الشهاب أحمد الخرش الطبيب من عائلة سقى الله، وإن الطبيب محمد الريس عاش بغزة قبل هذا التاريخ».

والأستاذ الطباع الذي يروي المؤلف على لسانه بصورة الجزم لم يقل شيئًا من هذا وإليك ما كتبه بهذا الشأن:

«.... يظهر أن المؤلف يعتمد في كتابه على الآراء دون الحقائق، مع أن المسألة ليست مسألة رأي، فما أورده المؤلف تحريف ظاهر لمن يعرف حياة الطبيبين، فإن الطبيب محمد الريس كان متقدمًا على الشهاب أحمد الخرش وقد ترجم الأول المرادي في تاريخه وذكر أنه كانت وفاته بالقدس سنة ١١٣٠ هـ وأن أسعد اللقيمي صاحب الرحلة نزل غزة عام ١١٤٣ هـ وقد أطلعت على رحلته وهي مخطوطة وذكر فيها أنه وفد عليه « المولى الأديب والطبيب الرئيس اللوذعي الأديب الشهاب أحمد الخرش» والنسخة التي أطلع عليها المؤلف فيها تحريف... وقد أرشدته لذلك وبينت له أن هذا الطبيب من عائلة الخرش وهي من عائلات غزة التي انقرضت قبل هذا القرن فلم يكتف المؤلف بهذا البيان بل عده رأيًا وزاد من عنده أنه من عائلة سقى الله، ولا علاقة بين سقى الله والخرش ولا يمت أحدهما للآخر بصلة، فكيف جاز

لـه أن يتـصرف بهـذه الزيـادة المباينـة للواقـع ويترتـب عليهـا عـدم صحـة النقـل ومـدار التاريـخ عـلى الضبـط والأمانـة».

# الخاتمة

## غزَّة هاشم

•••

حسب القارئ ما بينا له من متناقضات، وما لقي على ضوء هذا النقد من أخطاء وملابسات، ولو أردنا لأوردنا له أخطاء أخرى ومشاكل ملتوية المنطق يضيق بها هذا الكتاب ولفصلنا ذلك تفصيلًا. ولكننا مررنا على ذلك من الكرام ولم نتناول بالنقد والتحليل سوى ما يتعلق بكرامة غزة وأهلها وما يمت بصلة إلى سمعة الغزيين وتاريخهم المجيد. ولذلك لم نهتم مطلقًا حين قرأنا عن كونفوشيوس مثلًا أنه هندي كبوذا (ص ٩٥) وما كان كونفوشيوس هنديًا ولكننا تركنا لأهل الصين محاسبة المؤلف ومناقشته في أصل كونفوشيوس هل هو هندي حقًا أم صيني. وحسبنا ما جئنا به من براهين على أن غزة عربية وأن المسجد الكبير لم يكن كنيسًا ولم تنقل أعمدته من أي كنيس مزعوم. ولقد جاء هذا الكتاب عفوًا فلم أتعمد فيه الاجادة أو أقصد التأليف، وإنما كان هدفي نشر هذه النقدات في إحدى الصحف السيارة لولا رغبة صادقة أظهرها أصدقائي ومواطني

الأعزاء لحفظ هذه الحقائق بين دفتي كتاب يكون عونًا للأجيال القادمة على تفهم تاريخ أجدادهم على حقيقته دون أن يختلط عليهم فهمه بما أورده المؤلف من أقوال متضاربة ومسموعات متناقضة واستنتاجات منافية للواقع وللتاريخ. فليس هذا الكتاب إذن ثمرة جهود متواصلة أو دراسات طويلة رغم صدق مصادره وصحة روايته، وليس

فيـه تكلـف ولا تصنـع، وإنمـا هـو صـورة صحيحـة لمـا يجيـش في صـدور أولئـك الذيـن دون المؤلـف تاريخهـم عـلى غـير رضاهـم. وتعبـير صـادق للشـعور الـذي يضطـرم في أفئدتهـم إزاء مـا ألصـق بهـم وبمدينتهـم مـما لا يصـح وصفـه ولا يجـوز بيانـه. فـما لقيـت شـيخًا ولا كهـلًا ولا شـابًا إلا وحدثنـي بمـا تطغـى بـه نفسـه مـن حنـق ومـا يجيـش بـه صـدره مـن غيـظ إزاء هـذا التاريـخ الموضـوع الـذي اشـتط المؤلـف في وضعـه وتعسـف في صوغـه، فـود لـو أنـه يسـتطيع أن يمحـو مـن صفحاتـه مـا يعتقـد أنـه سـبة الدهـر وعـار الخلـود، ومـا يـراه في عينيـه صحفـة سـوداء في تاريخـه الناصـع البيـاض يطالعهـا الخلـف فينكـر بهـا السـلف ويتصفحهـا الأحفـاد فيتلومـون عـلى الأجـداد.

ومـا كنـت أتحـدث إلى عجـوز شـمطاء أو صبيـة حسـناء أو فتـاة عـذراء إلا واسـتروح مـن حديثهـا عـدم الـرضى تمازجـه مضاضـة الألم والاسـتنكار كأنهـا تشـفق عـلى الجيـل القـادم أن يقـرأ صفحـة خاطئـة مـن تاريـخ الجيـل الحـاضر. ولم يكـن الطلبـة والأحـداث أقـل اهتمامًـا بتاريـخ غـزة مـن غيرهـم فكانـوا يختلفـون إلى المكاتـب صبـاح مسـاء يتسـاءلون عـن النبـأ العظيـم الـذي هـم فيـه مختلفـون، ويقلبـون صفحـات «تاريـخ غـزة» وعـلى قراءتهـا يدأبـون، فـإذا مـا علمـوا أن فيـه مساسًـا بكرامـة بلدهـم وتاريـخ مدينتهـم، انقلبـوا ونفوسـهم تطفـح بـالألم وعجبـوا كيـف يسـتقبل التاريـخ بـين دفتيـه كتابًـا كهـذا الـذي وضعـه المؤلـف دون أن يشـدد النكـير عـلى كاتبـه ويحاسـبه حسـابًا عسـيرًا.

فـإذا كان هـؤلاء جميعًـا لم يرفعـوا أصواتهـم دفعـة واحـدة بالاحتجـاج، ولم يضـع كل منهـم ردًا مسـتقلًا فليـس لأنهـم راضـون أو لأنهـم لا يريـدون، وإنمـا هـم منتظـرون. فـإذا اسـتطعت أن أنطـق بلسـانهم وأقـوم بهـذه المهمـة عنهـم، فأنـا سـعيد حقًـا لأننـي اسـتطعت أن أتكلـم بلسـان بلـد وأدافـع عـن كرامـة مدينـة وأعـبر عـن شـعور الآلاف مـن تهمهـم كرامـة غـزة وتاريـخ غـزة.

وإذا كنـت بهـذا الكتـاب قـد اسـتطعت النفـاذ إلى قلـوب النـاس فانفـس عنهـا وإلى نفوسـهم فأجلـو مـا خلفـه المؤلـف فيهـا مـن أثـر غـير محمـود، فأنـا سـعيد حقًـا بمـا كتبـت، موفـق كل التوفيـق فيـما أردت.

وإذا كان هـذا الكتـاب قـد وقـع في نفـوس القـراء الموقـع الـذي أردتـه، وصـادف في نفوسـهم الهـوى الـذي قصدتـه، فـإني بهـذا سـعيد وهـو كل مـا أتمنـى وغايـة مـا أريـد.

وغــزة العربيــة التــي غــرس حبهــا في شــغاف قلبــي، غــزة التــي كانــت محجـة العـرب القادمـين إلى الشـام ومعقلهـم الحصـين حـين كانـوا يعـودون إلى البيـت الحـرام، مـا تـزال (غـزة هاشـم) فيهـا يثـوي جـد النبـي، وبهـا مولـد الإمـام الشـافعي، غـزة العربيـة التـي زارهـا عبـد المطلـب وغشـيها عبـد اللـه وشرفهـا مـن بعدهـم محمـد خـير خلـق اللـه. غـزة هـذه التـي ظلـت صامـدة في وجـه الفاتحـين منـذ العصـور المتدحرجـة منـذ الأزل حتـى اليـوم، غـزة التـي اعتـزت بابـن الخطـاب، وفخـرت بابـن العـاص وتمسـكت بعروبتهـا وبدينهـا خـير مـا يتمسـك المـرء بقومـه وبدينـه. هـذا البلـد

العربي بقي على مر العصور وكر الدهور عربيًا خالصًا، ولن يكون إلا كذلك وقدسية غزة أن في أرضها البطل الهاشمي وفي سمائها نور النبي. ذلك النور الذي انفطرت عنه الطبيعة فأضاء العالم أجمع وأخرج الناس من الضلالة إلى الهدى ومن الغواية إلى الرشد. هذا النور العلوي البهيج الذي تتفتح له النفوس كما تتفتح الزهرة النضرة لقطرة الندى عندما يغمرها المساء هو نفسه النور الذي جعل من العرب خير أمة أخرجت للناس. وهو نفسه الذي بدد غياهب الجهل ودياجير الظلم وحقق العدالة والحرية بين الشعوب. ذلك هو نور محمد أبن عبد الله الذي يرقد جده في غزة، والذي تتشرف هذه المدينة بالانتساب إليه. فتاريخ غزة غير جديد إذن بما أورد الأستاذ عارف العارف من أقوال ومسموعات، إنه تاريخ مجيد فيه فخر وفيه عزة وفيه منعة وفيه كرامة، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

لقد مثّل النشر عبر العصور أداةً للتمدّد والاحتواء، وهو بذلك استطاع أن يمتلك قُدرة استثنائية على التجدّد والتنوّع في حركته وتحوّلاته التقنية، بدءًا من الإيماءة ومرورًا بالنقش ثم الطباعة على الورق، ليُشكّل بذلك ضوءًا مُتعدّد الطبقات، يَقبضُ بوميضه على أحاسيسنا المتغيّرة بفعل الزّمن.

إن تمدّدًا على هذا النّحو، يمكنه أن يقلّص المسافة، وأن يُجسّد حاجتنا إلى التنقّل عبر المحطات العابرة للتاريخ، بل يُثري تجاربنا في تشكيل القوالب الحيّة لذاكرة لا تغيب.

فتلك التحوّلات التي أنتجتها التكنولوجيا لم تأتِ صدفةً، إنها انبثاقُنا المبتكر نحو خلق الترابط مع الآخر في هذا العالم الوسيع.

ضمن تلك الرؤية، صمّمت وزارة الثقافة مشروعها نحو النشر الرقمي ليقينها بضرورة توسيع نطاق النّشر وإتاحته أمام أكبر عدد ممكن من الباحثين والدارسين والقُرّاء.

وزير الثقافة
عماد عبدالله حمدان

